

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المستول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة

« القاهرة في يوم الاثنين ٩ شوال سنة ١٣٥٣ - ١٤ يناير سنة ١٩٣٥ »

العدد ٨٠

أسبوع حافل...

أسبوع حافل ! ابتداء بعيد الدين وانتهى بعيد الدنيا ! فأوله
(عيد الفطر) ، وآخره (عيد الوطن) ، وفيما بينهما كان عيد الميلاد
ومؤتمر البلاد ومهرجان القرش !

أسبوع حافل ! كان فيه للدين سبب ممدود وشمل جامع ،
والحرية يوم مشهود ومظهر رائع ، وللوطنية لواء معقود ومُجْتَلَى
فخم ، وللإساسة شعب محشود وأمر ضخم ، وللقومىة أمل
منشود وعمل صالح !

جرى كل أولئك على أروع ما يقع فى الذهن ويتمثل فى
الخطر ، لشعور الناس بشمول الأمن ، ويقظة العدل ، وقيام
القانون ، وفوز الديمقراطية ، واتساق الأمر بين الفرد والجماعة ،
واتفاق الرأى بين الحكومة والأمة ؛ وكانت النفوس فى عهد الحقنة
قد تغشأها من الدخائل السود قتام وسُحْب ، فلا تكاد ترى على
حواشى الأفق الضيق المحدود إلا جنود الرهبة ، وقبود النلة ،
وسجون القهر ، ثم تنفس بها الزمن البطىء على هذه الحال الأليمة
حتى قنعت بالدون ، ورضيت بالهون ، وذهلّت عما وراء الأفق ؛
فلما نهتكت الحجب عن وجه الحق ، وتفتككت الأغلال عن

فهرس العدد

صفحة	
٤١	أسبوع حافل : أحمد حسن الزيات
٤٣	أول درس ألقته : الزيات
٤٥	حرب منظمة يشهدها : الأستاذ محمد عبد الله عنان
٤٨	المطلوب : مدرسة بيت : الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازنى
٥٢	كيف استجبت للرسالة : الأستاذ محمد محمود جلال
٥٣	نشد الوداع : الأستاذ على الطنطاوى
٥٥	خواهر متبلة فى تاريخى : الأستاذ غفرى أبو السعود
٥٧	محاورات أفلاطون : ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود
٥٩	التصوف الإسلامى : سليمان فارس النابلسى
٦١	ابن النيب : الأستاذ أحمد أحمد بنوى
٦٤	بين القاهرة وطوس : الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٧	البحث (قصيدة) : فريد عيى شوكة
٦٧	فى مصر شباب : محمود غنىم
٦٨	ثورة الفصل : محمد الحلوى
٦٨	تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا : الأستاذ خليل هندائى
٧١	ذكرى ، للاسرتين : ترجمة الزيات
٧٢	مقطوعات شعرية ، للدكتور محمد إقبال : ترجمة عزام
٧٣	حماية الدولة للأدب ، ميشيل آنجلو وعصره ، وثائق جديدة عن نابليون
٧٥	الموجات القصيرة ، لمركوفى ، نهضة الموسيقى القديمة ، لهندست
٧٧	مدام بوقارى (قصيدة) : جوستاف فلوبر ترجمة محمد سليمان على

حرية الشعب ، فسمى غير مقيّد ، وعمل غير مراقب ، وقال غير متهم ، عاد الناس فوجدوا شعور الكرامة ، وسورة الاستقلال ، وأنفة الحى المريد ، وهزة التصرف المطلق ، فزهاهم النصر ، واستطارهم الفرح ، وتقلبوا سبعة أيام فى الدعة ، يتبسطون على الأنس ، ويتعللون على الدهر ، ويتدللون على الحكومة ، ويوازنون بين حالهم بالأمس وحالهم اليوم ، فيعجبون كيف زأغت القلوب ، وفدت الطامع ، وسفّهت الأحلام ، وغارت هذه المباهج والمرافق والمظاهر كلها فى قرارة قلب فارغ !

إن القلوب لأضيق فى هذا الأسبوع من أن تسع هذا الفيض الذى يتدفق فيها من كل جانب : فى (مدينة رمسيس) وجوه البلاد ونواب الشعب وزعماء الأمة يعرضون مناهج السياسة على المشورة ، ويُقلّبون أنظمة الإصلاح على الرأى ، ويعلنون الخادع والتخدوع أن مصر الخالدة لا تزال متماسكة على مضض الحن ، سليمة على عنت الجور ، مؤتلفة على عبث الاغراء ، تُعَوِّق ولا تضل ، وتُعَذِّب ولا تنذل ، وتحارب ولا تستكين

كانت الآلاف الأربعون فى سرادق المؤتمر الوطنى أشبه بالأسراء فك أغلّهم النصر ، أو بانسجنا كسر أفعالهم الثورة ! فهم يتعاقون على السلامة بعد البلاء ، ويتصافقون على الجماعة بعد الفرقة ، ويتنادرون بجلادى العهد الباغى وسُجّانه وقد أصبحوا اليوم روادى حراس العدالة ! أليس هذا شرطى الأمس الذى كان ينظر بالنار ، ويتكلم بالحديد ، ويتجنّى على الناس الذئب ، ويتمنى على الأحداث الجرائم ؟ ما باله اليوم وديعاً كالعدل ، نزيهاً كالقانون ، رفيحاً كاللولة ، رفيحاً كالمواطن ؟ تباركت يا الله ! أهكذا تبدل الأوضاع وتتغير الطبائع فى بحر يوم وليلة ؟ !

وفى معرض الجزيرة جماعة (عيد الوطن الاقتصادى) يُفيضون من نشاط الصبى وطموح الشباب على الناحية الضعيفة المخوفة من نواحي الوطن : تلك هى الناحية الاقتصادية التى اقتحمها المستعمرون تحت لواء السلم والمال فاحتلوا المدن ، واستغلوا القرى ، وامتهنوا القومية ، وامتنحوا الأخلاق ، وحولوا مجارى

الثروة المصرية الى السفن الأجنبية والمصارف الأوربية ، وخلفوا أهلها يكابدون الدين ، ويعانون الفقر ، ويشكون العطلة ، ويقاسون المذلة . فطن هؤلاء الشباب الأطهار إلى هذا الخطر الويل والداء الدخيل فصعدوا له فى ميدانه المشتبه الواسع ، واستنفروا القاعدين من أصحاب الأموال ، والجامدين من أرباب التجارة ، ونشروا الدعاية بمختلف الوسائل للانتاج الوطنى ، وضجوا بجهودهم الكثيرة ، وتقوّمهم القليلة ، وأوقاتهم الباقية من الدرس ، على رصد الأهبة ، وتنظيم العمل ، وتدير المسال ، وضمان الفوز ، حتى توجوا هذا الجهد الجاهد بهذا المهرجان الذى أقاموه ، وذلك المعرض الذى نظموه ، فكان المهرجان عيداً للعيد ، والمعرض حجة للآمل ، والعمل كله غزراً لأهليه

وفى حديقة الأزبكية عيسد (جمعية القرش) تجاهد فى الانشاء جهاد عيد الوطن فى الدعاية . وقد نفضت — كتلك — على بلى النفوس جدة الربيع ، ونقاء الفطرة ، وجمال الحدأة ، فانتشر متطوعوها الأبرار فى المدينة يجمعون القروش بالتوسل والتذلل والالحاف ليفتدوا بها حرية الوطن الأسير

لجماعة الوطن وجمعية القرش ومؤتمر الشعب ائتلاف منسجم من عناصر البلاد ومناهج الجهاد ومناحي الفرض : فالشباب بجانب الكهول ، والاقتصاد بجانب السياسة ، واللذة بجانب المنفعة ، والحكومة بجانب الأمة ؛ وكل هذه الصور الرائعة إنما تتألق وتترامى فى إطار روحى شعرى تألف من عيد الفطر للمسلمين ، وعيد الميلاد للأقباط !

أسبوع حافل ! كان فيه للدين سبب ممدود وشمل جامع ، وللحرية يوم مشهود ومظهر رائع ، وللوطنية لواء معقود ومُجْتَلَى فخم ، وللسياسة شعب محشود وأمر ضخم ، وللقومية أمل منشود وعمل صالح ! !

وإن عاماً يكون عنوانه هذا الانقلاب ، وطالعه هذا الين ، واستهلاله هذا النشيد ، لآية من الله على انجلاء الغمة ، واهتداء الغرائز ، وارعواء المنى ، وانكشاف الطريق

معرض الزمان

زكريات وتجارب

أول درس القيته ... *

أبدًا لا أنسى تلك الساعة الرهيبة المصيبة التي ألقيت فيها أول درس في أول فصل ! كان ذلك منذ سبعة عشر عامًا والسن حديثة والنفس غريزة والنظر قصير ، وكانت المدرسة ثانوية أجنبية ، تجمع أخلاطًا من الأجناس والأديان ، وأعاطًا من الأخلاق والتربية ، وكنت قد أدركت قسطًا من العلم النقارى على الطريقة الأزهرية ، وشدت طرفًا من التعليم الفنى على الطريقة اللاتينية ، إلا أن ما حصلت منهما كان لا يزال طافياً في ذهني ، متجيراً في فكري ، لا يطمئن إلى ثقة ، ولا يستقر على تجربة ! أصف ذلك إلى طبع حي ، وإسان من الحجل عبي ، ووجه للقاء الناس هيبوب !

قضيت موهناً من الليل في إعداد الدرس : أراجع مادته وأرسم خطته وأسد خطاه ، ثم احتفأت لكلام أقابل به التلاميذ قبل التمهيد للدرس ، وغدت إلى المدرسة أقرع باب الأمل الرجو ، وأستطلع ضمير الغيب المحجب . دق الجرس فجابه قلبي بدقات عنيفة كادت تقطع نياطه وتشق لفائفه ، وقت أجر رجلى وبجاني مفتش الكلية جاء يقدمنى إلى الطلبة . دخلنا الفصل فحيانا التلاميذ بالوقوف ، وقال المفتش فأطال القول وأجزل الثناء ، ثم خرج وبقيت ! !

أقسم أنى أقول الحق وإن كنت أجد بشاعة طعمه ومرارة مذاقه على لساني ! لقد نظرت إلى التلاميذ نظرة حائرة ، ثم رجعت إلى نفسى أحاول إخراج ما فيها من الكلام المهيأ المحفوظ ، فكان ذاكرتى صحيفة بيضاء ، وكأن لساني مضغة جامدة لا تحس !

السكون شامل رهيب ، والأبصار شاخصة ما تكاد تطرف ، ووجوه الشباب ترسم عليها ألوان مختلفة متعاقبة من خطرات النفوس وزوايا الرءوس ، وأنا واقف بينهم موقف المحكوم عليه ، أعالج في نفسى الظور والحصر ، وأجهد في لم ما تشمت من ذهني وتبدد من قواى ، حتى هدانى الله إلى طريق الدرس ،

* من كتاب (فى أصول الأدب) وسبدر قزينا

فاعتسفته اعتسافاً دون مقدمة ولا تمهيد ولا عرض ! !
أتريد أن تعفىنى يا صديق من وصف هذا الدرس صوتاً لمر المهنة ؟ ولكن لماذا تتدافن الأسرار وتكتم العيوب ؟ إن فى الدلالة على أوعار الطريق ومضايقتها ومزلقها تحذيراً للسالك البادى ، وتبصرة للناشئ الفرير

بدأت الدرس بصوت خافض وطرف خاشع وإسان مبجل ، وسرت فيه وأنا واقف ، لأدنو من السبورة مخافة أن أحرك سكون الفصل ، ولا ألس الطباشير خشاة أن أسمى الكتابة ! !

كان من المقول أن بماودنى الهدوء وبراجعنى الثبات بعد زوال دهشة الدخول وربكة البدء لو كنت واثقاً من نفسى متمكناً من درسى ، ولكن نظام الموضوع كان قد انقطع فتبعثرت حياته وتعثرت خطواته ، ورحت أسرد ما تذكرته منه وأنا أشعر بكلماتي تحتضر على شفتى ، وبريق يجمد فى فمى ، وبرق يتصبب على جبيني ، حتى فرغت ، ثم جلست أبلغ ما بقى من ريق ، ونظرت فإذا الساعة لم يحض نصفها ، وإذا التلاميذ يتلاحظون ويتهاسون وعلى كل شفة بسمة خبيثة لولا تعود النظام وقوة التهذيب لعادت قهقهة صاخبة ! !

ماذا أقول بعد أن نقد القول ؟ وبماذا أملأ الفراغ الباقى من الوقت ؟ وكيف أؤخر انفجار هذه الضحكات المكظومة ؟ أسئلة كانت تضرب فى خاطرى القلق فلا أجدها جواباً غير الحيرة ! ! حتى تطوع تلميذ جريء (لانتقاد الموقف) فقال :

« احك لنا حكاية يا افندى بأى ! »

ولم تكذ شفتاى تنفرجان عن مشروع الرد حتى ابتدرنى آخر :

« لا يا افندى ، انكلم لنا شوية إنشاشفهى »

وآخر : « حضرتك حتننا على طول ؟ »

وآخر : « اسم حضرتك إيه يا افندى ، والله انت راجل طيب ! ! »

وآخر : « فلان صوته جميل يا افندى ، خليه يننى شويه »
فقطعت سيل هذه الأسئلة التجنية الساخرة بهذه الجملة الحية المتواضعة :

— على كل حال كاد الوقت ينتهى فلا يتمع لشيء من هذا :

ولكن صوتاً أشبه بصوت القدر قد انبعث من أقصى الحجرة يقول :

«أوه ! دالسه ساعة وربع ! حصّة العربي ساعتين كل يوم !»
— ساعة وربع ؟؟ نعم ساعة وربع ! أقضيتها على هذه الحال
الأليمة كما شاء نظام (الفرير) ، أو كما قضى الجدل العائر والطالع
المشثوم ! وإذن لا مناص من انفجار البركان ووقوع الكارثة !

كأنك تريدني على أن أسوق إليك بقية القصة ! !
حنانيك ! لا تكلفني هذه الخطوة ، واعتمد على نفسك
وحسبك في التخبر والاستنتاج ! !

لقد انحل النظام فتشتت الأمر وانتشر ! وأذكر أنني
حاولت الكلام مراراً فلم أسمع صوتي من اللغط ! فجعلت قيادي
في يد (أولادي) ثم سكنت حتى نطق الجرس ! !

خرجت من الفصل أُميد من الهم وأجر ذيل الفشل السابغ
الضائق ، وفي نفسي أن أترك التعليم وهو حديث صباي ومنتجع
هواي إلى عمل آخر يصلح لي وأصلح له ! !

ولكنني عدت إلى الفصل ، ومضيت في التعليم ، وكنت
بعد شهرين اثنين مدرس الفصل الأخير وأستاذ الكلية الأول !
فما الذي جعل من اليأس أملاً ، ومن الفشل فوزاً ، ومن
الضعف قوة ؟

إسمح لي أن أكون صريحاً فيما كان لي ، كما كنت صريحاً
فيما كان علي

لقد التمسْتُ الوصلة إلى النجاح في أسباب خمسة كلها معلوم
بالضرورة مؤيد بالطبع ، ولكن العلم غير العمل ، والرأي خلاف
المزعة ، والتجربة وجود الفكرة وواقع الحقيقة

(١) مراصد الدرس وإدماجه النظر — فلم أترك كتاباً في
المواد التي أدرسها حتى تقصيته أو ألمت به واستفدت منه .
وكان جدوى ذلك عليّ ونوق الطلبة بما أقول ، وظهر التجديد
فيما أعمل ، وتصريف الدرس وتنويعه على ما أحب . ولن تجد
أشفع للدرس من سعة اطلاعه وغزارة مادته

(٢) إعداد الدرس وأرائه — وكان يمني عليّ الأخص
ربطه بالدروس السابقة ، والسير فيه مع الطلاب خطوة خطوة على
الطريقة الاستنتاجية (inductive) ، ثم تلخيصه بطريق الأسئلة .

فكان من حسن اعداده أن ملأت الوقت كله به ، فلم يعد فيه
فراغ لعبث عابث ولا نجى سفيه ، وجرت إليه أذهان الطلاب
بالتشويق والتطبيق والسؤال فلم يصبهم سأم ولا ضيق ، وشغفهم
به عن أنفسهم وعني فلم يفرغوا لاصطياد نكتة ولا لالتماس غمزة .
وليس أعون على حفظ نظام الفصل من ملء الوقت بالمفيد الممتع ،
ولا أضمن لجودة شرح العلم وحسن استماع التلميذ من فهم الموضوع

(٣) سيرة الترقى — فلم أُنشِث بالقديم ، ولم أُنصَب
للكِتَاب ، ولم أُنشِث إلا بما له قيمة عملية . فال موضوعات منزوعة
من حياة التلميذ وحال المجتمع ، والأمثلة مستنبطة من أساليب
العصر ومواضع أهل ، والبحث حر في حدود المنطق ، يقوم
على أساس التحليل والنقد والموازنة . وفي تشابه الفكرة والنزعة
والغاية توثيق الصلة بين العلم والمعلم

(٤) حسن الظهور — ولمعمرى ما يؤق المعلم إلا من إغفاله
هذه الجهة . فالادعاء والتظاهر ، والكبرياء والتفاخر ، والبذاء
والتنادر ، والكذب والتعجيز ، والكسل والتدليس ، آفات
العلم وبلايا المعلم . وما استعبد النفس الشابرة كالتخليق الكريم ،
ولا يَسُر تعليمها وتقويمها كالقدوة الحسنة . ناهيك عما يتبع
ذلك من جمال الأحداث واستفاضة الذكر ، وما يزيدان في قدر
المعلم واعتباره ، ويفنيان التلاميذ الجدد عن اختباره

(٥) قوة الحزم — فكنت أُلين في غير ضعف ، وأشدت في
غير عسف ، وأسير بالطالب إلى الواجب عن طريق ضميره
وحسه ، لا عن طريق تأنيبه وخبسه ، وأجعل رضائي عنه غاية
ثوابه ، وسخطي عليه غاية عقابه ، وأعد الوعد فلا أذهل عن
تنجيذه ، وأحكم عليه الحكم فلا أنكل عن تنفيذه ، وأستمع على
فهم عقليته ودرس نفسيته بإنشائه فأعامله بما يوائم ، وأعالجه
بالدواء الذي يلائمه

كل ذلك يسمعه طبع غالب ، ورغبة حافزة ، ومران
طويل ، وقدّر من الله جمليّ أجد سعادتي وراحتي في الفصل
وبين الطلاب ، أكثر مما أجد في البيت وبين الأصحاب
ولكن المعلمين والأسفاه كما بدأهم الله بمودون ! فليت شعري
هل يكون الدرس الأخير في مبدئي ممانى ، كما كان الدرس الأول في
مبدئي حياتي ؟

الزيات

الثورة على الاسلام

حرب منظمة

يشهرها الكاليون على الاسلام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تشهر تركيا الكالية على الاسلام حرباً لاروية فيها ولا هوادة ؛ وقد رفع الزعماء الكاليون اليوم القناع كاملاً بعد أن رفعوا من قبل طرفاً منه ، وظهرت سياستهم نحو الاسلام في نوبها الحقيقي ؛ ودخلت هذه الحرب المنظمة التي يشهرونها على الاسلام في طورها الايجابي بعد أن كانت تقف عند طورها السلبي ؛ وقد اتخذت هذه الحرب منذ البداية وما زالت تتخذ ثوب « المدنية والتمدين » أعني تحرير تركيا من كل طابع ولون ديني ، وصيغها في كل مظاهرها الرسمية والعامة بالصيغة المدنية . ولو وقفت سياسة أنقرة حقاً عند هذه الغاية لما كان ثمة مجال للريب في صدق نياتها ؛ فان الاسلام ، كالنصرانية ، لا يحول دون اصطباغ الدولة بالصيغة المدنية المحضة ؛ وأهم أوروبا النصرانية التي تقلدها وتنشبه بها تركيا الجمهورية — إذا استثنينا روسيا البلشفية — لانجهد أية غضاضة في ولائها للنصرانية ، وإن كانت أشد وأعرق « مدنية » من تركيا الجمهورية ؛ ولم تذهب أية دولة أوربية — سوى روسيا البلشفية — في مطاردة الدين الى الحد الذي تذهب اليه حكومة أنقرة ؛ وحكومة أنقرة لا تطارد العقيدة الدينية لذاتها ، ولكنها تطارد الاسلام ، وكل ما عمت اليه بنوع خاص ؛ وإذا كانت تطارد اللغة العربية وكل مظاهرها في الكلام والكتابة ، فليس ذلك لتحرير اللغة التركية من العناصر الأجنبية فقط ، ولكن لأن اللغة العربية هي قبل كل شيء لغة القرآن ، ولغة الاسلام الأولى وقد بدأت الثورة الكالية على الاسلام منذ قيام الجمهورية التركية ذاتها ، أعني منذ نحو عشرة أعوام ، وكانت في مرحلتها الأولى تتخذ صورة الاصلاح الديني أو المدني ، وكانت سلبية لا تسفر عن نزعتها الهدامة ؛ ولم يكن في خطواتها الأولى مثل إلغاء الخلافة ، وجل الجماعات الدينية والصوفية ، وفرض الثياب المدنية والقبعة ،

ماثير الأذهان المسلمة المستنيرة ؛ فقد كانت جميعاً تتنبع جهود تركيا الجديدة في سبيل التجديد القوي والاجتماعي بمنتهى الإعجاب والمطرب ؛ ولم يك ثمة ما يحمل على الاعتقاد بأن هذه النزعة الاصلاحية في ظاهرها ستتحوّل غير بعيد الى نزعة إلحادية بعيدة المدى ، والى فورة تمصب على الاسلام تقصد الى الهدم المطلق . ولكن حكومة أنقرة لم تقف في محاصرة الاسلام عند حد ؛ وكانت خطوات جديدة ظاهرة المنزى في سبيل نحو معالمة إلغاء النص الذي أدرج في دستور الجمهورية الأول بأن تركيا دولة مسلمة ، وإباحة القانون المدني التركي الجديد زواج النصارى من المسلمة ، ثم تحريم الأذان وتلاوة القرآن في المساجد بالعربية ؛ ولم يك ثمة حتى في هذه المرحلة ماثير كبير شك في نيات حكومة أنقرة وخصومتها المضطربة للاسلام وعقائده وذكرياته ومظاهره ؛ وكانت كلمات الاندفاع والتطرف والأغراق تتردد من جانب أولئك الذين مازالوا يحسنون الظن بأنقرة ويعطفون على جهودها وأمانها . ولكن الكاليين لم يلبثوا أن رفعوا القناع بعد ذلك ؛ وانتدبت حكومة أنقرة لجنة لاصلاح المبادئ ومظاهرها (سنة ١٩٢٨) وأذيع يومئذ أن اللجنة ترى أن تكون الصلاة في المساجد ، كالصلاة في الكنائس ، وأنه لا بأس أن يؤدي المؤمنون صلاتهم وقوفاً أو جلوساً على المقاعد ، وأن تطربهم الموسيقى ، وأن تمزف لهم الأديعية والنصوص كما تمزف « آفي ماريا » أو « باترونستر » ، وأن تكون صلاة المسلمين على العموم في مظاهرها كقداس النضاري ، وكان لأذاعة هذه الاقتراحات وقع عميق في الرأي العام التركي ذاته ؛ ولما رأت أنقرة أنها تذهب بعيداً بهذه الاقتراحات أنكرتها وكذبها ، وحملت تبعاتها للجنة التي وضعتها ؛ أما الرأي العام الاسلامي فما كان ليدهشه شيء بعد من تصرفات الكاليين ، ومع ذلك فقد وقف مدى لحظة ذاهلاً أمام هذا الاجترار الآثم ، يلمس النزعة الهدامة التي تلي على عتبة أنقرة سياستها نحو الاسلام وكل ترانه

ثم كانت حركة أنقرة ضد اللغة العربية والكتابة العربية ؛ واتخذت هذه الحركة كسابقاتها ثوب الاصلاح والتجديد القوي ؛ وقيل إن كتابة التركية باللاتينية بدلاً من العربية وسيلة الى ذوبها وتحريرها من نوبها البتيق ، وإن اللغة التركية غنية

بأصولها وموادها القومية فهي ليست بحاجة إلى العربية تشتق منها وتستعين بها ؛ وإذا فوجب أن تحذر من جميع الألفاظ العربية الدخيلة ؛ ووضعت الفكرة موضع التنفيذ بسرعة ، فالقيت الكتابة العربية ، واستعملت الكتابة اللاتينية بقوة التشريع ؛ وسارت الحركة لنفي الألفاظ والأصول العربية بسرعة ، واتخذت أحياناً بعض المظاهر المفرقة ؛ فقد حدث مثلاً أن أستاذاً بالجامعة التركية خطب في المؤتمر الذي عقد منذ أشهر لهذا الغرض فنوه بأهمية استمرار التعاون والعلاقات بين التركية والعربية ، ففضب الغازي مصطفى كمال - وكان من شهود المؤتمر - وغادر المؤتمر في الحال ، وفي اليوم التالي عوقب الأستاذ بالهزل والحرمان ؛ وفي الجلسة التالية صفق الغازي لأستاذ آخر ذكر في خطابه أن اللغة العربية لغة دخيلة ، وأن التركية أعرق أصولاً من العربية ولها عليها فضل الاعارة والاشتقاق ؛ ومع ذلك فإن اللغة التركية ، رغم هذه الجهود والمناظر الحماسية ، التي تعرب عن الحقد والتعصب والجهل ، بأكثر مما تعرب عن رغبة الإصلاح الحقيقي ، لم تستطع أن تستغنى بنفسها ، وما زالت تستعير - طبقاً للقرارات الرسمية - من بعض اللغات الأوربية لتسد ما بها من نقص ونفرت . ولم تكن الحركة حركة إصلاح خالص ، بل إن لها كما قدمنا مظهراً آخر غير مظهرها الاصلاحى ؛ فاللغة العربية هي لغة القرآن ، ولغة الاسلام الأولى ؛ ولما كانت حكومة أنقرة تعمل على مطاردة الاسلام وكل مظاهره بكل ما وسعت ، فيجب أيضاً أن يختفى هذا المظهر ؛ ثم يجب أن تختفى الأسماء العربية - وهو مظهر آخر لهذه الحركة - حتى يكون الانقلاب تاماً ، وحتى لا يبدو في أفق تركيا الكيالية ، بعضى الزمن ما يشير ذكرى العربية والاسلام

وقد حملت الينا البرقيات الأخيرة نبأ جديداً ، هو أن حكومة أنقرة قررت أن تعمل لأزالة منارات المساجد ، وأنها ستبدأ بأزالة المنارات العتيقة وتقيم في مساجدها مصانع ، فإذا صح هذا النبأ فإنه يكون دليلاً جديداً على أن هذه الجهود المتوالية التي تبذلها حكومة أنقرة لمحو معالم الاسلام في سائر مظاهره الشخصية والعامة إنما هي سياسة مفررة متصلة الحلقات

والآن لنحاول أن نتعرف أسباب هذه الحرب المضطربة التي يشهدها الكياليون على الاسلام ؛ ولنلاحظ أولاً أن تركيا الجمهورية تحذو في تلك الحرب اللادينية المنظمة حذو روسيا البلشفية ، وهي الدولة القريبة الوحيدة التي تشهر الحرب على النصرانية وتطارد كل مظاهرها . ولم يقع هذا الشبه عرضاً بين الدولتين اللادينيتين ؛ ولكنه يقوم على نفس المبادئ ونفس الروح الثورية واللادينية المشتركة ؛ وقد كانت روسيا البلشفية أكبر ع ضد للكياليين في حرب التحرير التركية وفي العمل على بئس تركيا المحتضرة ، ولا نبالغ إذا قلنا إن تركيا الجمهورية مدبنة بحياتها للبلاشفة . ولم يبذل البلاشفة هذا العون للكياليين حباً بتركيا ، ولكنه كان قطعة من برنامجهم في محاربة الاستعمار البريطاني ، وقد كان غزو اليونان لتركيا مشروعاً بريطانياً تماونه بريطانيا ونحميه ، وكان عون البلاشفة للكياليين بكل الوسائل المادية والعنوية منذ قيام الحرب التركية اليونانية حتى عقد معاهدة لوزان فصلاً من فصول الصراع بين البلاشفة والاستعمار البريطاني ؛ وكان طبيعياً أن يكون لوى موسكو ونفوذها أكبر الأثر في توجيه حكومة أنقرة ، وأن توثق المصالح المشتركة بين روسيا البلشفية وتركيا الكيالية ؛ وأشد ما يبدو لوى موسكو في ناحيتين : سياسة تركيا الخارجية ، فهي قطعة لا تتجزأ من برنامج السياسة البلشفية ، تردد فيها تركيا خطوات موسكو في كل شئ ؛ في السياسة الشرقية والسياسة الأوربية ، وفي خاصة عصبة الأمم ثم الالتحاق بها (على أثر التحاق روسيا) ؛ وروسيا تشد بأزر تركيا في كل مظاهرة دولية ؛ وتركيا تؤيد روسيا في مواقفها نحو الدول القريبة ، وتركيا تعرف أنها مدبنة بحياتها لروسيا ، وأن هذه الحياة تتوقف على ارادة روسيا ، فهي لا تستطيع أن تحيد عن برنامج السياسة الروسية ؛ وثانياً - في الناحية الثورية ، فحكومة أنقرة ما زالت حكومة ثورية على مثل حكومة موسكو ، وهي تحذو حذوها في تطبيق مبادئ الهدم والاباحة الى أبعد الحدود ؛ وإذا استثنينا الناحية الاقتصادية ، أعني تطبيق الفكرة الشيوعية التي يرى الكياليون بحق أن تركيا ليست ميداناً صالحاً لتجربتها ، كانت الثورة الكيالية الاجتماعية والدينية صورة من الثورة البلشفية في هذه الميادين ؛ وكما أن النزعة

ومهما يكن من أمر البواعث التي تحفز الكمالين الى هذه الخصومة المضطربة نحو الاسلام ، فان الاسلام أقوى وأرسخ من أن يتأثر بمثل هذه الفورات العصبية الطارئة ؛ وقد صمد الاسلام وما زال يصمد لخصومة الغرب كله مع ما يحشده الغرب لغزوه من الموامل والوسائل الخطرة . ذلك أن الاسلام قوى بعقائده ومبادئه وخلاله المستنيرة ، قوى بتسامحه الخالد ، قوى بترانه المجيد . ولن يضير الاسلام أن تسقط من عداده تركيا الكمالية ؛ وإذا كان الاسلام لم يعترف قط بتركيا يوم كانت دولة قوية شاذة ، فكيف يحاول اليوم أن يعترف بهذه البقية الضئيلة من تركيا القديمة ؟ على أن هناك حقيقة يجب أن يذكرها الكماليون ، وهو أن تركيا عاشت في العصر الأخير على تراث الاسلام ؛ وقد كان نفوذ الاسلام المعنوي عاملاً قوياً في بثها الجديد ، وفي تطور السياسة الأوربية نحوها ، وإقالتها من الفناء الذي كان مقضياً به عليها . أما اليوم فإن العالم الاسلامي الذي كان بالأمس يحبو تركيا بعطفه وتأنيده المعنوي - والمادى في أحيان كثيرة - لا يهمه اليوم شيء من أمر تركيا الكمالية ومصابرها ، ومن الحق أن سيقف وقفة المتفرج يوم تدلهم الخطوب ، وتعود المعارك القديمة الى الاضطرام

محمد عبد الله عتاه
الحامى

يصدر قريباً

في الإسلام

مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ عَتَاهُ

بقلم

احمد الزيات

الاحادية تسود الثورة البلشفية ، فكذلك الثورة الكمالية تسودها هذه النزعة ؛ وإذا فإن هذا الاتحاد الذي يطبع كل تصرفات الكمالين ، وهذه الاباحة التي يفرقون فيها ، وهذه الحرب اللادينية المستمرة التي يشهرونها ترجع في كثير من وجوهها الى غرس أسانديتهم ومدربيهم سادة موسكو ؛ على أن الفكرة الثورية والاحادية ليست كل شيء في سياسة الكمالين ، فهناك بواعث أخرى تحفزهم الى هذه البغضاء المتأججة نحو الاسلام . ذلك أن الكمالين يرون أن الاسلام كان سبباً في كل ما أصاب تركيا القديمة من المحن التي أودت بسلطانها وقوتها ، وأن صفتها الإسلامية هي التي أثارَت الدول الغربية ضدها خلال العصور المختلفة وجمت كلمتها على محاربتها ومقاومتها ، وأنها لولا هذه الخصومة التي أثارها الاسلام في نفوس الأمم الغربية لبقيت دولة قوية ولم تبدد قواها في حروب ومعارك خالدة ؛ ولهذا يعمد الكماليون في ثورتهم ضد الاسلام ويزعمون أن تركيا تستطيع بذلك أن تنزع تاريخها وماضيها وصفها الأسيوية ، وأن تدخل بذلك في عداد الدول الغربية

وقد كانت الاسلام حقاً من الموامل التي أثارَت أوربا النصرانية وجمت كلمتها ضد الدولة العثمانية في أحيان كثيرة ، ولكنه لم يكن بهذا الاعتبار مسئولاً عما أصاب الدولة العثمانية من المحن وضروب الانحلال والتفكك بقدر ما تسببت عنه السياسة الفاشية والأساليب الممجية المحرقة التي سارت عليها هذه الدولة طوال عصور تاريخها ، وعجز الترك المطبق عن أن يكونوا عاملاً من عوامل الانشاء في صرح الحضارة الحديثة . هذا ، ومن جهة أخرى ، فقد لقي الاسلام على يد الدولة العثمانية الداهية أعظم نكبة نزلت به في العصر الحديث ، ولقيت الحضارة الاسلامية الزاهرة في مصر والأمم العربية مصرعها على يد هذا الغزو الوندلي الذي لبثت تروح في أغلاله وظلماته مدى قرون أربعة ؛ ولم تكن الفتوحات التركية سواء في الشرق أو الغرب سوى فورات مخربة تحمل وراءها الويل والدمار أينما حلت ؛ وعلى ضوء هذه الحقائق وحدها يجب أن يرجع الكماليون عوامل انحلال تركيا الداهية

المطلوب

مديرة يلىت ... !

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

« أفلسنا والله يا صاحبي ! »

« وأى أفلاس يا أخى ؟ لكأن الدنيا أفقرت ... »

« والعمل ؟ »

« العمل ؟ تسألني ما العمل ؟ »

« لقد كنت أقول دائماً وأؤكد للمرتابين من إخواننا ،
إنك آية من آيات الله فى الذكاء وصحة الإدراك ! نعم أسألك
ما العمل ؟ »

« وهل أنا أعرف ؟ »

« لا رأى تشير به ؟ ... لا حيلة تتجملها ؟ »

« حيلة ؟ هل تعنى ... »

« لا بأس ! لا بأس ! أرح نفسك . كم ساعتك الآن ؟ »

« ساعتى ؟ »

« هذا أقل ما يمكن أن أنتفع بك فيه »

« ساعتى يا سيدى ... انتظر أقل لك ، ساعتى ... س ... »

سُرقت ! »

فنهض الأول عن كرسيه بلا كلام ، ومضى الى المكتب ،
جلس اليه وتناول ورقة وأكب عليها وراح يكتب

جرى هذا الحديث فى حجرة واسعة اتخذها للنوم هذان
الصاحبان ، ووضعاً فيها سريريتهما وحقائبيهما وكتبتهما وأدواتهما
وأشياءها الأخرى ، فلورأيتهما - أى الفرفة - لحسبتهما آيين
من سفر . وكان كتم حجران آخريان فى مسكنهما ، ولكنهما
كانا لا يستعملانهما أو ينتفعان بهما إلا فى الندرة القليلة ، إذا
زارهما من لم ترتفع بينه وبينهما الكلفة . فكانت هذه الحجرة
الفسيحة للنوم والمطالعة والطعام والشراب والسرور ، واللهو
أيضاً . ولو شاءا لاتخذتا بيتاً أكبر وأوسع ، ولأتياه بما هو

أوزر وألين ، ولكنهما كانا يؤثران الخشونة ، وينفران من التطرفى
والرخاوة ، ويستقبحان أن يكونا مترفين وإن كثر المال فى أيديهما .
وكانا ظريفيين لا يعدلها أحد فى ظرفهما ، وقد تأخيا على أصنى
ود وأتم مداخلة ، فهما خليط وأمرهما فى كل شئ واحد ،
لا يختلف ولا يتمدد .

ومضى الأول عن المكتب وفى يده ورقة يتأملها ، ومضى
متمهلاً إلى صاحبه حتى إذا بلغ مكانه دفع بالورقة إليه فقرأ فيها

« مطلوب : »

« مديرة لبيت ، ويشترط أن تكون متعلمة وخيرة ، والأجر
يُتفق عليه . والرد يكون باسم السيدة نينا شقراوى بجريدة
الكوثر بالقاهرة »

ثم سأل : « ما هذا ؟ »

قال : « هذا ؟ هذا إعلان ! ماذا يمكن أن يكون غير ذلك ؟ »
فسأله : « ولكن ما حاجتنا إلى من تدير لنا بيتنا ؟ ألسنا ندير
أموره القليلة على أحسن وجه ؟ »

قال : « يا صاحبي ، ليس هذا من شأنك . ولا نخش أن
أنقل كاهلك بهذه المديرة المطلوبة . إنما أريد أن أداوى نفسى
وأعالج إفلاسها ، وأملأ هذا الفراغ الذى أحسه فى قلبى »

قال الآخر : « ولكن ... »

فقاطعه ذاك « لا تعترض يا صاحبي ، فليس عليك بأس
من ذلك . »

وخرج ، فمضى إلى صاحب « الكوثر » وكان صديقه ،
فناولوه الاعلان

فسأله هذا : « أمى السيدة التى ... ؟ »

قال : « لا ، بل غيرها ، وقد كلفتنى أن أقوم عنها بالأمر ،
فكم تطلب أجراً للنشر ؟ »

فأبى الرجل أن يتقاضى أجراً

وجاءت ردود ، بعضها تليفونى ، والبعض رسائل ، فأما
التليفونية فأمهلها وأبى أن يُعنى بها أو يتقبلها ، وأما الرسائل
فكانت ثلاثاً حملها معه إلى البيت ، وهناك فضاها وجلس يتدبرها
هو وصاحبه ، ويحاول أن يستنبى الخط والأسلوب عسى أن
يعرف منهما - على التقريب - سن الكاتبة وحظها من الجمال .

فقال الذى لا دخل له : « هى والله ! قرأت اسم جروبي ، ونظرت فى الساعة . هيا بنا إليها »
فقال صاحبه « بنا ؟ ماشاء الله ! أظن انى سمعتك تسألنى ما دخلك فى هذه الحكاية ؟ أم ترى كان غيرك السائل المنكر ؟ »
قال : « إنما أعنى أنه يجب أن تكلمها حتى لا يطول انتظارها فتقلق فتذهب »

قال : « وما بعينيك من قلقها وذهابها ؟ فلتقلق ولتذهب ! »
قال : « ولكن لماذا إذن واعدتها أن . . . »
قال : « يا أحمق ! إني أريد - أنفهم ؟ - أريد أن تقلق وتعصى وأزيدك علماً ، فأقول إني لا أجرؤ أن أكلها أمام باب جروبي الذى يدخل منه ويخرج كثيرون ممن يعرفوننى . »
وعادت الفتاة فألقت على ساعتها نظرة ثم دارت فشت .
فذهب صاحبنا يمدو خلفها ، حتى إذا ناداها ناداها باسمها فوقفت وقال :

« معذرة . إن السيدة شقراوى متوعدة ، وقد كلفتني أن أقابلك »

فقالت الفتاة بابتسامة : « أشكرك ، وأشكرها . لقد خاطبني شك ، فتوهمت لحظة أنى أخطأت . وهل أنت أخوها ؟ »
قال : « أخوها ؟ أوه ! لا ! إنها فقط . . . »
قالت : « معذرة »

قال : « ألا توافقين على أنى مازلت شاباً تتدفق الدماء الحارة فى عروقي ؟ »

فضحكت وقالت : « بالطبع . . . وأين البيت ؟ »
فساءه أنها غيرت الموضوع وقال : « البيت ؟ البيت ياسيدتى . . . فى القاهرة »

فسأته : « أى شارع ؟ »
فقال : « أى شارع ؟ هل ينتظر أن تعرفيه إذا قلت لك إنه شارع البسطويسى ؟ » فقطبت وسألت كالمحتجة المستهجنة البسطويسى ؟ »

قال : « لم يخطئ ظنى . فتاة مثلك غضة السن جداً - وجيلة أيضاً بالطبع - متملة فى أنجلترا لا يعقل أن تعرف هذه الشوارع التاريخية »

فتعلقا بواحدة تقول كاتبها إنها تعلمت فى أنجلترا ، وأنها حدثت هذا الفن - فن إدارة البيوت - على مهرة الأساتذة والمعلمات وقال الذى سمى نفسه فى الاعلان « نينا شقراوى »
« فلنتبع » أسلوب « شرلوك هولمز » . إنها تقول إنها تعلمت فى أنجلترا ، فلا شك أنها صغيرة السن ، لأن ارسال البنات إلى أنجلترا ليتعلمن لا يزال إلى اليوم غير مألوف ، ولم يبلغ أن يكون سنة ، كارسال الفتيان ؛ ثم ان التى تذهب إلى أنجلترا لتتعلّم لابد أن يكون أهلها ذوى مال ، وقد تحتاج بإصاحبي أن تسأل - لأنك ذكى جداً - لماذا إذن تريد أن تكسب رزقها بمرق جبينها ؟ والجواب أنهما فرضان لا أرى لهما ثالثاً : الأول أن يكون المال قد ذهب ، وافتقرت الأسرة بعد اليسر ، والثانى أن تكون الفتاة قد عمدت على أهلها لسبب من الأسباب وتركت البيت ، فعلى تنشئ العمل لتعيش ، كراهة منها للارتداد إلى أهلها صاغرة ذليلة . واضح ؟ حسن ! فلنكتب إذن الرد »
وقام إلى المكتب فكتب ما يأتى :

« الآنسة المحترمة . . . »

جاءنى ردك ، وأكون شاكرة لك إذا تفضلت بانتظارى فى تمام الساعة الخامسة مساءً من يوم . . . أمام باب « جروبي » بشارع المناخ

ونحياتى إليك وإلى الملتقى

نينا شقراوى

وتوخى فى كتابة الرسالة أن يطيل حروفاً ويقصر أخرى ، ويجعل زوايا الجيبات والدالات الخ ، حادة ، ويموج السطور ليحى الخط أشبه ما يكون بخط النساء

ودنا الموعد ، فقال لصاحبه : « قم بنا »
فنظر إليه صاحبه متعجباً وسأل : « ولكن مادخلى أنا ؟ »
قال : « من يدري ؟ إنه لا يعلم الغيب إلا الله ! قم فقد أحتاج إليك . »

ووقفا على الافريز المواجه لباب « جروبي » وصارت الساعة الخامسة ، وإذا بفتاة ممشوقة تقف على الافريز الآخر وترفع عيناها إلى باب جروبي ثم تصوبها إلى الساعة على يدها ، ثم تلتفت

فسألت باهتمام : « أهو شارع تاريخي ؟ »

قال : « لا شك ! أقدم من التاريخ »

فأحسنت أنه يتهمك وسألته : « والبيت ؟ ما مساحته ؟ »

فقال : « إيه ؟ مساحته ؟ الحق أقول ، لا أعرف »

قالت : « كم غرفة فيه ؟ »

ولم يكن مما قدر ، أن يجري الحديث هذا المجري فقال بعد

تردد « كم غرفة ؟ آه ... أقول لك باستي ... ثلاث »

فدهشت وصاحت : « ثلاث فقط ؟ »

فقال : « أراك دهشت ! ولك الحق . فأنها غرف فسيحة

جداً . . . تصلح للرقص ، أو لسباق الخيل »

قالت : « لا تمزح . لقد كنت أظنه بيتاً كبيراً »

فسألها : « أليس كبيراً ؟ إني أراه كبيراً جداً »

قالت : « ثلاث غرف ! ؟ والخدم ؟ ما عددهم ؟ »

قال : « الخدم ؟ أى خدم ؟ »

قالت : « خدم البيت ! »

قال : « ليس في البيت خدم ! »

قالت : « ماذا تقول ؟ لا خدم ؟ »

قال : « نعم ... أعني لا ... وأى حاجة بنا إلى الخدم ؟ »

قالت : « أى حاجة ؟ كيف يكون بيت بلا خدم محتاجاً إلى

مديرة ؟ »

قال : « ياسيدتي ، لهذا احتجنا إلى مديرة . فالأمر موكول

إليك ... »

قالت : « لقد كان ظني غير ذلك ... كنت أحسبه بيتاً

عظيماً غاصاً بالخدم ، أتولى أموره وأدير شؤونه ... أما هذا ...

لا . لا أظن أنني أستطيع أن أقبل هذا العمل »

قال : « ألا يحسن أن نميل إلى هذا المحل لتحدث وتنقاهم . »

قالت بلهجة جازمة : « في أى شيء نتحدث ؟ لقد قلنا

كل شيء »

قال : « لا لا لا ... بالعكس ، لم نقل شيئاً ... »

فسألت مستغربة : « أى شيء بقي هناك ؟ »

قال : « بقي أن تراجع نفسك . ففكرى طويلاً قبل أن

ترفضي . الانسانية تدعوك أن تقبلي ... المروءة تناديك

وتناشدك ... إلى شاب ، والبيت كالصحراء ، بل قلبي أيضاً

صحراء ... ومن الشهامة أن تتولى أمري ... أعني أمورنا ...

وأن تحبلي هذه القفار فراديس وارفة الللال »

فسألته ضاحكة : « أتريد مديرة أم ساحرة ؟ »

قال : « إيه ؟ آه ! بالطبع . . . ساحرة ؟ أى نعم ساحرة .

هذا أحسن ... ولكنك ساحرة - ماني هذا شك ! أأنت

موافقة ؟ »

قالت : « على أى شيء ؟ »

قال : « على أنك ساحرة »

قالت : « أوه ! كلا . والآن ، أستاذن ... »

قال : « تستأذنين ؟ كيف ؟ وبعد أن غصت عليك في لجة

الحياة ؟ »

وعض لسانه من الفيظ ، فقد زل ، وأدركت هي أن في

الأمر غير البيت وإدارته ، فحدثت في وجهة ثم سألته

« أجبني - بصراحة ... ماذا تعني ؟ »

قال : « أعني أنك درة وأنه يشق عليّ أن أنقض يدي منك

بعد أن فزت بك - هذا ما أعني ، وبصراحة »

قالت : « هل كنت تعرفني ؟ »

قال مغالطاً : « لقد كنت أحلم بك »

فقالت : « والاعلان ؟ »

قال : « الاعلان ؟ لقد انتهينا منه . وقلت إن الأمر لا

يوافقك ... وأنا مصدقك ... لايسعني إلا أن أصدقك ...

إنه بيت لا يليق بك ... إنه ... إنه قبر ... خراب ...

دعينا منه فما كنت أتصور أن ترضى عنه ... »

قالت : « وبعد ؟ »

قال : « تنكلم في شيء آخر ... إنه لا أكثر من المواضيع

الصالحة للكلام ... مثلاً شعرك ، إنه ذهبي جميل ، وأنا أحب

الشعر الذهبي ، يفتنني ، يدير رأسي ، ولو استطعت لجمته كما

تجمع طوابع البريد ، وقطع الخنزف الثمين ، والسجاجيد

الفاخرة ... وهناك أيضاً موضوع آخر ... عيناك ... إيهما

نجمان متالقان ... »

فصاحت به : « حسبك . وادخر بلافتك لمن هو أحق بها ،

فوقفت تفكر برهة كالترددة ثم التفتت اليه فجاء وقالت :
 « هل كنت تعرفني ؟ »
 قال : « سؤال معاد ، وجوابه واحد لا يتعدد ولا يتغير »
 قالت : « لا تمد الى المزاح »
 قال : « أؤكد لك أني جاد جداً »
 قالت : « ولكن كيف وثقت أني سأرد على اعلانك ! »
 قال : « هي مقامرة لا أقبل ... »
 قالت : « على كل حال ، لابد أن أمضي الآن »
 قال : « وملتقى مرة أخرى ؟ »
 قالت : « ربما ... لا أدري ... »
 قال : « اذكرني أني أعرف عنوانك ، فإذا طال الأمر فلا
 يبعد أن أغزرو دارك فاني كما تعلمين مجنون »
 قالت : « لا تفعل ... احذر »
 قال : « لا تخافي ... مع السلامة ... »
 ورجع إلى صاحبه فقال : « ألا تزال واقفاً ؟ لماذا لم تمد إلى
 البيت ؟ ما قائدتك هنا ؟ »
 فسأله : « ماذا صنع الله بك ؟ »
 قال : « وكيف يعنيك هذا ؟ أي دخل لك فيه ؟ »
 قال : « قل لي بالله ! »
 قال : « ولا تشمت ؟ لا في السر ولا في الجهر ؟ »
 قال : « أو أخفقت ؟؟ مبارك ! مبارك ! الحمد لله ! »
 إبراهيم هجر القادر المازني

اشترك مجاني في الرسالة

لمدة شهر يناير

لكل من يسدد الاشتراك في أثناء شهر
 يناير الحق في مجموعة كاملة من السنة الثانية
 للرسالة لا تكلفه غير أجرة البريد وقدرها
 خمسون مليماً في مصر، ومائتا مليماً في الخارج

أعني لمن له أذنان تصغيان فاني ماضية »
 فقال : « وتتركييني ؟ »
 قالت : « آسفة »
 قال : « ألا تفكرين ؟ في أنا على الأقل ! »
 قالت : « سأفكر فيك طويلاً »
 فقال بلهجة الظافر : « كنت أعلم ذلك »
 قالت : « إيه ؟ »
 قال : « كنت واثقاً أنك رقيقة القلب »
 قالت : لا لا ... إنما أعني أني سأفكر في جراتك ...
 واسمح لي أن أقول : وفي وقاحتك »
 فلم ينهزم وقال : « هذا ذنبك »
 قالت مستغربة : « ذنبي ؟ »
 قال : « على التحقيق : إنك جميلة ، فلماذا أنت جميلة ؟
 هذا عذري ! »
 قالت : « آه ! » وهمت أن تمضي عنه
 فقال : « وشيء آخر ... يجب أن تعلمي أنه لا قيمة للجملك »
 قالت : « ألم أقول إنك وقع ؟ »
 قال : « لا قيمة للجملك إذا لم يسحب به أمثال ... بغيري
 تكونين وردة في صحراء ... من يشمها ؟ من يتأملها ؟ من يقول
 ما أحسنها ؟ »
 قالت : « ألا تخبرني من أنت ؟ »
 قال : « أو يعنيك أن تعرفني ؟ »
 قالت : « بالطبع ... لأنك أوقع من رأيت في حياتي »
 قال : « كلا ، هناك من هو أوقع ... أوه عبراحل !
 صاحبي هذا الواقف هناك ... أتريته ؟
 سأعود اليه الآن وأبلغه أن له - إذا شاء - أن يشمت بي ،
 لأنني فشلت »
 قالت : « أكانت مؤامرة ؟ »
 قال : « لقد نهاني فلم أطع ، وجردته مني بكرهه ، وفي
 مأمولي أن أقوز ، فأباهيه وأفاخره ، أما الآن ... »
 قالت : « هذه هي الحقيقة ؟ »
 قال : « بلا تحريف . وتعال اليه لتسمعها منه إذا شئت »

كيف استجبت للرسالة ؟

للأستاذ محمد محمود جلال

كان لمجلة « البيان » في نفسى مكانة ، وكان لها في أفق الثقافة المصرية مكان . وكنت تاشتركت فيها أحسن من نفسى اغتباط من يؤدى واجباً ، ولا أنكر ما شملنى من سرور يوم نشر الشيخ البرقوقى مقالى الأول بها

ولما احتجبت أحسست لها وحشة ، وأحسست فى جوى بشى . ينقصنى ، ثم طلبته فى مجلداتها الأولى ، وإذا أتيت عليها وأخذت نفسى بترتيبها ووضعها فى مكان خاص من المكتبة خالجتى سرور الوفاء بالعهد . ولم يزل لها مكانها وما زلت أذكر بالخير عهداً

لم أكتب فى مجلة منذ احتجبتها ، وفى فترات متباعدة كتبت فى المحروسة ، واللواء ، والمقطم . وكنت طوال الوقت أتمنى على الله للبلاد مجلة تسد الفراغ وتأخذ بيد الثقافة

وما كنت لأغشط المجالات الأخرى فضاها على العلم والأدب والتاريخ ، ولكنى كنت دائم الأحساس بحاجة البلاد لمجلة تقوم على أساس من الروح المصرية ، وإحياء الصالح من التقاليد الإسلامية ، فتصل المهددين وتنبيه الجيل إلى تراث الأولين

ملككت الأمنية على شعورى حتى فكرت عام ١٩٢٦ مع صديق اسماعيل مظهر وصديق ثالث فى تنفيذ الفكرة برغم مشاغلى وما قد يكون بين عملى وبين ما أعظم من فوارق ظاهرة . ووصل بنا الحرص على التوفيق بين الأمرين إلى أن نعتزم إصدارها كل ثلاثة أشهر ، ولكن حتى هذه لم تتم !! فقد تعجل صديقنا الأمر وأظهر مجلة « المصور » فجاءت أبعد ما نكون عن الأسس التى قدرنا

لكن الله سبحانه وتعالى قدر للأمنية أن تتحقق — وتحققت بالفعل قبل أن أنصل بالرسالة بعام ونيف ، ولكنى حرمت هذا الخبر السار حتى كان رأس العام الهجرى الحالى فأراد الله أن يجعل سرورى مضاعفاً ، فأتلقى الخبر فى خير عيد للمسلمين ، بل للإنسانية جميعاً

فبينما أجتاز ميدان الأزهار إذ سممت بائع الصحف ينادى بالرسالة ، وإذا بى مقبل على شرائها ، فيطالعنى العنوان ، وإذا بى يدى عدد ممتاز خص به العام الهجرى ، وشرف العدد بأكثر ذكريات التاريخ

طربت حقاً — لأنى أعلم أن هذا التقليد الصالح أهل منذ الحرب الأخيرة بعد أن كان سنة تحيها أكثر الهيثات — وطربت لأنى أخذت أولادى وبيتى بالاحتفال بالعام الهجرى ، فأدخر لهم ليومه خير المكافآت و « اللعب » إيقاظاً لهم ، وتقريباً للمعنى إلى عقول الصغار

ولأنى أقرر اليوم أنى إلى ذلك التاريخ لم أكن أعرف عن صاحب الرسالة شيئاً ، ولم أكن رأيت ، ولم يصلنى به وبأكثر النخبة الصالحة من معاونيه غير الآثار القليلة الرائجة أمتع بها ذهنى بين فرصة وأخرى

فلما قرأت العدد التاريخى شعرت بما خفق له قلبى طرباً ، وأحسست بالفراغ عملاً وبالفرحة تسد

إنما ننشد للبلاد مجلة تنشر مفاخر السلف الكرام فلا ينقطع ما بيننا وبينهم فضل النطق . إنما تمنينا مجلة تنشر الصالح قديماً كان أو حديثاً ، تخرج لنا فى لغة مهلهة راقية ما يأخذ بيد الأخلاق من عثرتها ، ويكبح جماح الشهوة والفور ، ويرزق الفشاوة عن الأبصار ، فيبدو لشبابنا الإسلام كما هو ، والأدب العربى كما هو ، وهما أساس الثقافة لمصر الحاضرة ولا أساس غيرها وما كدت أظفر بهذا الكثر حتى سارعت به إلى أولادى

أقرئهم ما يتفق وما يحميون من ذكرى ، وأشرح لهم بعض ما يصعب على أذهانهم — ثم سارعت أكتب إلى صاحب الرسالة مشجعاً دون سابق تعارف ، معتقداً أن السكوت بعد ذلك هرب من صفوف الجهاد ، ووعدت فى كتابى أن أنتهز فرصة فراغ لأعود للترسل إذا أتيت لي أن تشرّف رسائلنى بمثل هذا المكان الكريم جاءنى الرد بعد قليل فإذا به آية على اختصاره ، وإذا بى ألس

فى كتابه صدق الأيمان فى كل مسمى ومقصد أتيت لي فى شهر سبتمبر ان أزور دار الرسالة فأسعد بقاء صاحبها ، وإذا بى ألس فى كل قول وفى كل حركة إيماناً صادقاً وأدباً رائعاً جذاباً

استجبت (للرسالة) الغراء وكلها هدى ونور ، وفى يقينى أنها

بين عامين :

نشيد الوداع...

للأستاذ علي الطنطاوي

(١) مالت الشمس الى المنيب ، ولم يبق من أشعتها الذهبية إلا خيوط قليلة ، تنفذ من بين قطع الغمام انتشار حيال الأفق ... تلقى على العالم نظرة الوداع ، وتقبل جبينه الخاشع قبلتها الأخيرة ... ثم تجود بذمائها الباقي ، وتلفظ نفسها الأخير — كما يلفظ نفسه هذا العام الراحل !

(٢) وكنت أطل من شرفة منزلي — ومنزلي في شارع بغداد : على شاطئ القوطة ، مغنى الفساسة ، وجنة الدنيا ، وملهمة الشعر شمراء العرب الأقدمين — أطل على بساتينها الفيحاء ، وجنتها الواسعة ، التي تحف به من جهاته الأربع ، فأرى الكون في حزن وكتابة ، وأرى على وجهه صفرة تبدو على أوراق الخريف الذاوية الهشيمة ، وفي عينيه دمة تفرق ، تلوح في ظلمات هذا المزن الرقراق ، وأسمع لقلبه وجيباً ، يسمع من هذه الأغصان التي يتلاعب بها النسيم ... ثم أنظر إلى نفسي ، فأرى فيها عالماً آخر ... ولكنه مغمم بالكتابة والنم ، كذلك العالم !

(٣) أطلت التحديق في هذه المشاهد — فلم تنفرج لي شفتاها عن الابتسامة التي أحن إليها وأدركها ... وكنت قد غرست على المضي في هذا التحديق ، حتى أرى هذه الابتسامة ، فأحتفظ

في البلاد ثلاثة أعلام النهضة ، فبجانب (مصنع المحلة) في ميدان الاقتصاد ، و (مستشفى المؤاساة) في عالم البر والتعاون ، تقوم (الرسالة) حامي الأدب العربي وتراث الاسلام

واذا كان الله تعالى أكرم البلاد بهذه المجلة ، فقد أكرم المجلة بثوب الأخلاق الكريمة الذي أضفاه على صاحب الرسالة ، ولن تنجح رسالة بغير خلق

قالى الأمام أيها الصديق ، وإلى الأمام يا خير الصحف . إنما عيد الرسالة عيد للثقافة العالية ، والدين القويم ، والخلق الكريم

محمد محمود مهدي
المحامي

بها بين أحناء ضلوعي ، وفي مشوي الذكريات من نفسي ذكرى سارة ، تخفف من لوعة الذكر الكثيرة المؤلة لهذا العام الراحل ... ولكن عزيزتي قد وُنت ، وأيقنت أن قلبي المحطم اليأس لا تشرق عليه أشعة الابتسامات

(٤) دنت قافلة الحياة السائرة في بيده الزمن من عطها ، فتباطأت في سيرها ، وقاربت خطوطها ، فأسببتُ أشعر بطول هذه الساعات الباقية في عمر العام ، ورحت أقرب عقرب الساعة المائلة أمامي ، فلا أراه يتحرك ... فضجرت وتأللت ، وأحست كأن هذا الفلك يدور وهو عاتق ...

(٥) ... بعد ساعة واحدة يتم الفلك دورة جديدة من دوراته التي لا تحصى . فلا يترك بعدها إلا أنقاضاً مهدمة ، وأجساداً محطمة ، وقلوباً مهشمة ، كأنما هو رجي تطحن الأم والشعوب ... ثم يخرج منها النداء أن : ولدوا وابنوا وأملوا ... ولكن للموت والخراب واليأس !

بعد ساعة واحدة ، ينقضي هذا العام ، فتبتلمه هوة العدم ، ويفتح الماضي ذراعيه ، ليضمه إلى الأعوام الكثيرة التي مرت من قبله ، ويؤلفها (رزمة) واحدة ، ثم يلقينها في بحر الأبدية ... ثم تفنى عند جلال الله الباقي

بعد ساعة واحدة ، يدع هذا العام مكانه من الوجود للعام الجديد ، ثم يذهب فيتبوأ مكانه من عالم العدم !

(٦) بعد ساعة واحدة تختم من هذا العام صفحة كتبت أكثر سطورها يدموع المظلومين ، لتفتح صفحة أخرى ، لاندري عنها شيئاً ، ولكن فيها ألم وفيها سرور ، وفيها أمل وفيها خيبة ، وفيها ضحك وفيها بكاء ... والقدر يضحك أبداً من هذا الانسان ، لأنه يراه الظالم ويراه هو المظلوم !

وما الانسان إلا عدو الانسان ...

يكتب القوى سيرة حياته ، ويملاها بآيات التبجيل والثناء ، ولكن مدادها دموع الأشقياء ، ودماء الأبرياء ... وينشئ القوى صرح مجده ، ويرفع ذرى عظمته ، ولكن أساسه جحيم المظلومين ، وعظام الشهداء ؛ ويملاها القوى بالذهب خزائنه ، ولكن دراهمها قد جمعت من أيدي البتاي ، وأفواه الفقراء

(٧) بعد ساعة واحدة ، تحط القافلة رحالها ، فتلتفت إلى الوراء فلا ترى إلا ظلاماً ، يلمع في وسطه نجم من الذكري ،

أيها الراحل المودع !

لقد أودع أسلافنا عند أسلافك أمانة ، هي المجد العربي ،
والعزة الإسلامية ، فضاءت في بيداء الزمن ، وانطلقت الأعوام
وانطلقنا وراءها نفتش عنها وننشدها ، ولن نتي ما بقى في الزمان
عام ، وبق منا إنسان ، فأخبرنا هل مررت عليها ، وهل عرفت
أى عام يحملها إلينا ؟ . . .

أيها الراحل المودع !

لأنك ستجتمع في عالم الأبدية بالأعوام التي سبقتك ، ومرت
بنا قبلك ، فهل لك إذا اجتمعت بعام الدماء والدموع ، عام
الثورة . . . أن تبلغه سلامنا وتحياتنا ، هل تحمل إلى تلك
الأرواح الظاهرة شوق أبنائها وإخوانها ؟ . . . الأقل لها تهدياً
وتطمئن ، فانا لن ننسى ، لن ننسى . . . إن ذكرى الدم
المسفوح لا ننسى أبداً !

وبعد يا أيها الراحل المودع !

أنبئنا ماذا يحمل هذا القادم المسلم ، هل يحمل إلينا تحقيق
الآمال وبلوغ الأمان ؟ أم يحمل الشقاء والخراب والفقر
والآلام والدموع والدماء ، كإخوانه . . . خمسة عشر عاماً ،
التي مرت على سورية ؟

أنظر ماذا خلفت فينا ، أنظر إلى مدينتنا ، لقد جعلتها - في
ظل التمدين - أطلالاً وخرائب ، لقد جعلت أهلها فقراء
باتسين . . . انظر هذه هي خرائب الدرويشية والميدان ؛
وهذه قلاع الزنة وقاسيون . . .

ولكن لا بأس أيها العالم لا بأس ؛ إن أرضاً تسقى (الماء
الأحر !) لا بد أن تنبت (الحرية الحراء) . . . ولأننا لن نياس أبداً

وأفقت من ذهولي ، وكان وهن من الليل ، وكانت اللحظة
الأخيرة من العام الراحل ، فأرسلت في فضاء الله الواسع زفرة
طويلة ، ثم رفعت رأسي شطر السماء وقلت :

— سبحانه لا اله إلا أنت . . . هذا قضائك يا الله !

وتبددت اللحظة الأخيرة من العالم ، تبدد الحروف الأخيرة
من مقالتي ، ولم يبق في الوجود ، إلا . . . اسم الله
باسم الله نستأنف العمل ، والله المستعان !

على الطنطاوي

تبين فيه (العلم المربع الألوان) وهو يخفق على دمشق . فتخفق
قلوبنا لجلال الذكرى ، ومسارة النقد ؛ فنحول أبصارنا إلى الأمام
فلا نرى إلا الظلام . ولكن . . . ما هذا النور الذي ينبعث من
الأرض فيذهب صعوداً في السماء ، فيهدينا الطريق ، ويترع نفوسنا
قوة وأملًا ؟ لقد علمت : هذا بريق الدماء التي سقينا بها صحراء
مبسلون ، وجنان الغوطة ، لقد علمت : لا يزيع ظلمة المستقبل ،
إلا هذا النور . . . الأحمر !

(٨) تزين الناس وابسوا أحسن ثيابهم ، وراحو بيوتهم
ومعهم بعضاً ، لقد امتلأت بهم الأسواق والشوارع ، والبيوت
والمجامع ، لقد نادت برسائلهم قطر البريد ، حتى ما ترى حيناً كنت
إلا ثغوراً تبسم ، وما تسمع إلا مقالة تقال : كل عام وأنتم بخير .
كل عام وأنتم بخير . . .

غير أني لا أفقه من هذا كله شيئاً !

(٩) فيم الهناء ؟ وعلام السرور ؟ . . . أيهنأون بتلك
الأرواح التي دفنوها ثمن الحرية ، فكان للبائع الثمن والبيع ؟ أم
بالنفوس الكبيرة التي أزهدتها الأقوياء ، أم بالنازل التي خربوا ؛
أم بالدور التي أحرقوا ، أم بالحق الذي غصبوا ، أم بالحرمات التي
انتهكوا ؟ . . . أم بالأزمة العامة ، والتجارة الكاسدة ،
والصناعة الماطلة ، والزراعة البائرة ، والأخلاق الضائعة ،
والرجولة المفقودة ، والحدود المستباحة ، والجهالة المنتشرة ؟ . . .
أما إن أشد البلاء ، ألا نشعر بالبلاء ؛ وأكبر المصيبة أن
نجهل أنها المصيبة ؛ فمالهؤلاء الناس وماذا اعترام ؟ أيفرحون
بهذا كله ؟ . . .

إني لا أفقه من هذا كله شيئاً !

(١٠) عزفت عما فيه الناس ، ورحت إلى شرفتي كشياً ،
وكان الظلام قد ملأ الكون ، كما ملأ جوانب نفسي ، ففشيبي
ذهول عميق ، وانطلق لساني يقول :

أيها الراحل المودع !

لقد كانت لنا آمال ، صيئناها على قدميك يوم خرجنا
لاستقبالك ، وكنا كلما انقضى من عمرك يوم ولم تتحقق ارتقبنا
بها يوماً آخر ، وهذا يوم لا آخر له ، فأخبرنا عن آمالنا ، ماذا
صنعت بها ، أدست عليها فحطمتها وقطعت طريقك على رفاقها ؟

ظواهر متماثلة

في تاريخي الأديبين العربي والانجليزى

للأستاذ نغرى أبو السعود

لا يكاد يكون بين الأديبين العربي والانجليزى من وجوه التشابه إلا الأمور العامة التى يتفق فيها كل أديبن بعبارة عن نوازع النفس الانسانية، وهما فيما عدا ذلك مختلفان جد الاختلاف، وهذا راجع الى أمرين: أولهما اختلاف الأمتين فى الجيلة والبيئة: فهذه أمة شرقية سامية خرجت من جزيرة صحراوية وورثت الدول الشرقية القديمة، وتلك أمة غربية آرية خرجت من جزيرة شمالية وشاركت فى تراث الدولة الرومانية، وثانى الأمرين اختلاف قسطنطين الأديبين من التأثير بالثقافة اليونانية: فبينما كان تأثير الأدب العربى بها قليلاً غير مباشر كان تأثيرها فى الأدب الانجليزى شاملاً عامراً للأصول والقواعد، فاكنتسب ذلك الأدب صبغة إغريقية ظل الأدب العربى يبدأ عنها

ولكن هناك ظواهر فى تاريخ الأمتين والأديبن متماثلة أدى إليها تماثل وقتى فى الظروف وأدت الى نتائج متماثلة: فعصر الجاهلية فى تاريخ الأدب العربى شبيه بعصر ما قبل الزبائت فى التاريخ والأدب الانجليزى: فى ذينك العصرين كان كل من الشمين يعيش داخل جزيرة فى عزلة كبيرة عن العالم على حال شبيهة بعصر الأبطال فى بلاد اليونان الذى أنتج ملاحم هوميروس، وكان الأديبان تبعاً لذلك جافين، وعزى الأسلوب واللفظ، ساذجى المعنى، بعيدين عن الصناعة الفنية، وكانا أقل رقى من الأدب الذى جاء فى العصر التالى. والواقع أن الشبه هنا بين الجاهلية العربية وعصر الأبطال اليونانى كبير: فى الجاهلية كان العرب منقسمين قبائل وعشائر متناحرة كما كانت البلدان والمشار اليونانية، وإن كانت تحس بقوميتها العربية العامة متمثلة فى لغتها وفى مجامعها السنوية فى الأسواق وفى الحج الى مكة، كما كان اليونان يجتمعون فى المواسم الأولمبية ويحججون الى دلفى، وفى تميزها على الأمم الأخرى التى كان العرب يسمونهم عجماء كما كان اليونان

يعتبرون من عدايم برابرة، وإن يكن المصر الجاهلى لم ينتج ملاحم كباراً كالإلياذة والأوديسا فى اليونان أو كلحمة «بيولف» فى انجلترا، فإن قصائده على قصرها هى من هذا الضرب. ولعل العصر الجاهلى لو طال قليلاً لانتلفت تلك القصائد الصغيرة التى تمجد كل منها قبيلة واحدة، فكونت ملحمة كبرى تتغنى بفروسية الأمة العربية قاطبة

ونهبضة العرب بظهور الاسلام تماثل نهضة الانجليز فى عصر الزبائت بوصول النهضة الأوربية الى انجلترا وأنحاء نظر الانجليز الى ما وراء البحر: فى كلا العصرين بدأت كل من الأمتين تخرج من محيط جزيرتها وتنبش عن طوق عزلةها وتتصل بالعالم وتصطنع حضارته وتبنى لنفسها امبراطورية مترامية الأطراف، وارتقى أديبها من جراء ذلك ارتقاء عظيماً ورقى ديباجته، وإن يكن الرقى الأدبى فى صدر الاسلام قد تمثل فى النثر بينما تمثل فى العصر الانجليزى فى الشعر ولا سيما الشعر التمثيلى

وبانغمات هذه النهضة وقيام هذه الدولة انتشرت كلتا اللغتين فى بقاع الأرض وافتتحت آدابها بكثيراً من الأمم: فاللسان العربى الذى لم يكن يتجاوز حدود الجزيرة فى الجاهلية صار يتكلم من حدود الصين الى المحيط الأطلسى، وأثر فى لغات وأزال غيرها وحل محلها، وأصبح اليوم لسان شعوب كثيرة فى آسيا وأفريقية. واللغة الانجليزية التى لم يكن يتكلمها إلا الملايين تعد على الأصابع فى عهد شكسبير أصبحت تتكلم وتدرس فى مشارق الأرض ومغاربها، وأصبح أديبها عالمياً كما كان أدب العرب عالمياً على عهد عظمتهم

ولم تكد كل من الأمتين توطد أركان امبراطوريتها حتى انسح عنها جانب من أملاكها ونما مستقلاً حتى طاولها فى النفوذ والسلطان، ودانها فى ازدهار الآداب والعلوم، فكما انفصلت الأندلس عن الخلافة العربية استقلت الولايات المتحدة الأمريكية عن الامبراطورية البريطانية: بيد أن البلاد الأصلية احتفظت بالزعامة الأدبية على طول المدى فلم تنجب الأندلس من الأديباء من بذوا غول المباسيين، ولا ظهر فى أمريكا ولا غيرها من أنحاء الامبراطورية البريطانية من دالى شكسبير وملتون وباتصال كل من الأمتين بالأمم المتحضرة سررت إليها موجة

أخذاً بالجملة كما صنع الانجليز ، بل ظلوا في زمانهم شاعرين بأدبهم ينظرون من عليائه إلى من حولهم من أمم وما لها من آداب ؛ أما عهد الأخذ بالجملة في تاريخ الأدب العربي فهو عصرنا الحاضر الذي يوسع فيه أدباؤنا اللغات الغربية دراسة ونقلاً ومحاكاة ، فيُسَنُّون أدبنا أي إغناء ، ويخصبونه بالعنصر الأجنبي الذي كان يموزه

هذه ظواهر يتقارب فيها تاريخا الأديين لتقارب في ظروف الأمتين في شتى العهود ، أما ظواهر التباين فلا تكاد تعد ؛ ويجب حين تقابل بين التاريخين أن تذكر أن دولة العرب أقدم عهداً وأدبهم أعرق محتداً ، وأن دولتهم وأدبهم قد غير الفصل الأول من قصتهما ، وهما اليوم في طور بحث جديد ، أما الدولة والأدب الانجليزيان فما يزالان في الفصل الأول

فتمرى أبو السمر

عدوى من دواعي الترف وبدا أثر ذلك في أدبها : فاختلاط العرب بالفرس أدخل الترف والعبث في البلاط العباسي وأثر في جيل أبي نواس من الشعراء ، واتصال الانجليز بفرنسا في ظل ملكهما الترف لويس الرابع عشر أفسد بلاطهم على عهد شارل الثاني وبان أثر ذلك في الأدب ولا سيما في الرواية التمثيلية

وكلا الأديين تأثر إلى حد بعيد بالكتاب السماوي الذي تدن به أمته ؛ فآثر القرآن في المجتمع العربي وتاريخ اللغة العربية وأصولها وآدابها وثقافتها أدبائها وأساليبهم جسيم بين الجسام ، فقد كان منذ جاء مثلاً أعلى وثقافة قائمة بذاتها ؛ والانجيل منذ ترجم إلى الانجليزية في عهد الإصلاح الديني كانت له اليد الطولى في تثبيت الأسلوب الثمري الانجليزي ، وتثبيت مفردات اللغة ، وإدخال مفردات جديدة واشتقاق غيرها ، واختراع طرق للاشتقاق

أدت إلى توسيع جوانب اللغة ، وكان دائماً قدوة للأدباء يحتذونها في إسلاس الأسلوب ، وله أثر مباشر جلي في كتابين من ذخائر الأدب الانجليزي : أحدهما « رحلة الحاج » لبنيان والثاني « الفردوس المفقود » للبتون : ففي كليهما كان أساس القصة ما ورد في الانجيل من أنباء الخلق والبعث والحساب ، بل إن دراسة الانجيل كانت هي الثقافة الوحيدة التي نالها (بنيان) الذي كان قساً مثيل الحظ من التشقق ، ومع ذلك فأسلوبه المبني على أسلوب الانجيل يعد في الذروة في أدب اللغة وهناك التأثير بالتراث اليوناني الذي كان حتماً على كل شعب أتى بعد اليونان أن يتأثر به : فاعترف أدباء الانجليزية من مناهل الأدب اليوناني اغترافاً واستوعبوه دراسة فجاء أثره شاملاً عاماً لا يقتصر على فرع دون فرع ولا يمتاز به جيل أو أدباء أو أديب دون أديب ، على حين كان التأثير اليوناني في الأدب العربي كما تقدم ضئيلاً غير مباشر آتياً عن طريق دراسة فلسفة اليونان لا أدبهم مما بدا أثره في حكم المتنبي والمري وأضرابهما

لم يأخذ العرب عن اليونان ولا عن غيرهم

لن تشعر بالغربة

على ظهر الباهرين

«زمزم» و«الكوثر»

فأن كلا منها قطعة من صميم الوطن

متجهة الى بيت الله الحرام

شركة مصر للملاحة البحرية

جهزتهما للحجاج بأوفر أسباب الراحة والأمان

(اطلبوا كافة الاستعلامات من ادارة الشركة بمهارة بنك مصر القاهرة)

٨- محاورات أفلاطون

الحوار الثاني

كريتون أو واجب المواطن

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

أشخاص الحوار : سقراط . كريتون

مكان الحوار : سجن سقراط

سقراط - وستقول القوانين بمدنذ : « اعلم ياسقراط ، إن صبح هذا ، أنك بهذه المحاولة إنما تسيء إلينا ، لأننا بعد إذ أتينا بك إلى الدنيا ، وأطعمناك وأنشأناك وأعطيناك كما أعطينا سائر أبناء الوطن قسطاً من الخير ، ما استطعنا للخير عطاء ، فقد أعلننا فوق ذلك على رهوس الأثهاد أن من حق كل أجنبي أن يرحل إلى حيث شاء حاملاً متاعه معه ، إذا هو ففر منا بعد أن تقدمت به السن ففرنا حق المعرفة وعرف على أي الأسس تسير المدينة ، وليس فينا نحن القوانين ما يحول دونه أو يتدخل معه في أمره ، فلكل منكم إذا ما كرهنا وكره المدينة ، وأراد الرحيل إلى إحدى المستعمرات أو إلى أية مدينة أخرى ، أن يذهب حيث شاء ، وأن ينقل متاعه معه ؛ أما ذلك الذي عرّفنا كيف نقيم العدل وكيف ندير الدولة ، ثم رضى بعد ذلك المقام بيننا ، فهو بذلك قد تعاقّد ضمناً على أنه لا بد فاعل ما نحن به أمرون . فمن عصانا ، ونحن ما نحن ، فقد أخطأ مرات ثلاثاً : الأولى أنه عصى والديه بعصيانته إيانا ، والثانية أننا نحن الذين رسمنا له طريق نشأته ، والثالثة أنه قطع معنا على نفسه عهداً أنه سيطيع أوامرنا ، فلا هو أطاعنا ، ولا هو أقنعنا بأنها خاطئة ، ونحن لا نفرضها عليه فرضاً غشوماً ، ولكننا نحيره ، فلما طاعتنا وإما أقنعنا . هذا ما قدمناه إليه ، وهذا ما رفضه جميعاً . تلك هي صنوف المآخذ التي ستقيم من نفسك هدفاً لها ياسقراط إذا أنت أنجزت عزيمتك ، كما سبق لنا بذلك القول . ولا سيما أنت دون الآتينيين جميعاً » وهب أني سألت ولم هذا ؟ فستجيب حقاً بأنني قد سلت بهذا الاتفاق دون سائر الناس . ستقول

القوانين « إن تمت إجهاتنا ساطعاً ياسقراط ، بأننا والمدينة معنا لم نكن لنمكر عليك صفو العيش ، فقد كنت أديم الآتينيين جميعاً مقاماً في المدينة : لم تنادرها قط ، حتى لتجوز لنا الفرض بأنك كنت تحبها ؛ إنك لم تنادرها مطلقاً لتشهد الألماب ، اللهم إلا مرة واحدة حين ذهبت لترى البرزخ^(١) ، ولم تفصل عنها لتقص إلى أي مكان آخر ، إلا إذا كنت في خدمة الجيش ، ولم تسافر كما يسافر الناس ، ولم يدفعك حب الاستطلاع إلى رؤية الدول الأخرى لتلم بقوانينها ، فقد اختصصتنا بحبك لم تجاوز به حدود دولتنا ، فكنا نحن أصفياءك الخلفيين ، وقد رضيت بحكمتنا إياك . إن هذه هي الدولة التي أعقبت فيها أبناءك ، وإن ذلك لينهض دليلاً على رضاك . هذا وقد كنت تستطيع لو أردت أن تقرر عقوبة النقي أثناء المحاكمة - وإن كان الآن تحت دولة تنقل دونك أبوابها فقد كانت حينئذ تسمح بذهابك إليها ، ولكنك ادعيت أنك تؤثر الموت على النقي ، وأنت لم تبتئس من الموت . ولكن هأنت ذا الآن قد أنسيت تلك المواظف الجميلة ، وترفض أن نحترمنا - نحن القوانين ، التي أنت هادئها ، وإنك الآن لتفعل ما لا يفعله إلا العبد الخسيس ، فتولي أدبارك هارباً من العقود والعهود التي قطعناها على نفسك باعتبارك واحداً من أبناء الوطن ؟ فأجب لنا أولاً عن هذا السؤال : نحن صادقون في القول بأنك اتفقت على أن تُحكم وفقاً لنا ، بالفعل لا بالقول فقط ؟ أهذا حق أم كذب ؟ لماذا نجيب عن ذلك يا كريتون ، ألسنا مضطرين إلى التسليم ؟

كريتون - ليس عن ذلك منصرف ياسقراط

سقراط - أفلي تقول القوانين إذن : « إنك ياسقراط ناقض للمواثيق والعهود التي أخذتها معنا على نفسك اختياراً ، فما كنت في أخذها مجلان ولا مجراً ولا مخدوعاً ، ولكنك لبثت سبعين عاماً تفكر فيها ، وكنت خلالها تستطيع أن تغادر المدينة إن كنا لم نصادف من نفسك قبولاً ، أو كنت قد رأيت فيما اتفقنا عليه إجحافاً بك . كنت في ذلك مخيراً ، وكان في مقدورك أن ترحل إما إلى لا قيديون أو إلى كريت اللتين كثيراً ما امتدحتهما لحسن حكومتيهما ، أو ترحل إلى أية دولة أجنبية

(١) يرجع أن القصود هنا برزخ كورنث الذي يصل شبه جزيرة

الوره بشبه جزيرة البلقان ، وبقره تقع أثينا

يونانية أخرى . ولكنك كنت تبدو ، أكثر من سائر الأنبيين
جميعاً ، شغوقاً بالدولة ، أو بعبارة أخرى ، بنا — أى بقوانينها
(إذ من ذا الذى يحب دولة لا قوانين لها) فلم تترشح عنها قط ،
ولم يكن المسمى ، والمُرج ، والمُقدمون ، بأكثر منك قبوعاً
بها ؟ وهانت ذا الآن نفر ناقضاً ما قطعته من عهود . ما هكذا
ياسقراط إن أردت بنا انتصاحاً ، لا تضع نفسك بهروبك من
المدينة موضع السخرية

« وحسبك أن ترى أى خير تقدمه لنفسك أو لأصدقائك ،
إن أنت اعتديت أو أخطأت على هذا الوجه ؟ أما أصدقاؤك
فالأرجح أن يُشترَ دواً نفيكاً ، وأن يسلبوا حق انتسابهم للوطن
أو أن يفقدوا أملاكهم . أما عن نفسك أنت ، فلو تسلمت إلى
إحدى المدن المجاورة ، إلى طيبة أو ميفارا مثلاً ، وهامديتان تسيطر
عليهما حكومة حازمة ، فستدخلهما عدواً ياسقراط وستنأصبك
حكومتاهما أعداء ، وسينظر اليك أبناؤهما الوطنيون بعين ملؤها
الشر لأنك هادم للقوانين ، وسيقر في عقول القضاة أنهم كانوا
في إدانتهم إياك عدولاً . فأغلب الظن أن يكون مفسد القوانين
مفسداً للشبان ، وأن يكون بلاء ينزل بالغفلة على بني الانسان .
فلم يبق لديك إلا أن تفر من هذه المدن المنظمة ومن ذوى الفضل
من الرجال ، ولكن أ يكون الوجود حقيقياً بالبقاء على هذه الحال ؟
أم أنك ستغشى هؤلاء الناس في صفاقة ياسقراط لتحدث اليهم ؟
وماذا أنت قائل لهم ؟ أفتقول ما تقوله هنا من أن الفضيلة والعدالة
والتقاليد والقوانين أنفس ما أنعم به على الناس ؟ أ يكون ذلك
منك جيلاً ؟ كلا ولا ريب . أما إن فررت من الدول ذوات
الحكم الحازم ، إلى تساليا حيث أصدقاء كريتون ، وحيث
الاباحية والفوضى ، فسيجدون متاعاً في قصة هروبك من
السجن ، مضافاً إليها ما يبعث على السخرية من التفصيل عن
كيفية تنكرك في جلد عزة أو ما عدها من أسباب التنكر ،
وعما بذلته من ملاحك كما جرت بذلك عادة الآبقين — ليس ذلك
كله يبعث ، ولكن أن تجد هناك من يذكر بك أنك وأنت
هذا الشيخ الكهل ، قد نقصت أشد القوانين تقديساً ، من
أجل رغبة حقيرة في ابتزادة الحياة زيادة ضئيلة ؟ قد لا نجد إذا
استرضيتهم ، ولكن لا تلبث أن تثور منهم سورة الغضب ،
حتى يصكوا مسميك بما يجاللك عاراً . إنك ستعيش ، ولكن

كيف ؟ — متملقاً للناس جميعاً وخادماً للناس جميعاً . وماذا أنت
صانع ؟ — ستأكل في تساليا وتشرب ، لأنك قد غادرت البلاد
لكي تصيب في القرية طعاماً لغدائك ، وأين ترى ستكون تلك
العواطف الجميلة التي تبديها حول العدل والفضيلة ؟ قل إنك
راغب في الحياة من أجل أبنائك لتتهدم تربية وإنشاء —
ولكن أنت مصطحبهم إلى تساليا ، فتقضي عليهم بذلك ألا
يكونوا أبناء الوطن الأثيني ؟ أذلك ما ستهنحهم إياه من نفع ؟
أم أنت تاركهم واثقاً بأنهم سيكونون أحسن رعاية وتربية مادمت
أنت حياً ، حتى ولو كنت غالباً عنهم ، إذ معنى بهم أصدقاؤك ؟
هل تخيل لنفسك أنهم سيعنون بهم ما أقت في تساليا ، أما إن صرت
من أهل العالم الآخر ، فلن يعنوا بهم ؟ كلا ، فإن كان من يسمون
أنفسهم أصدقاء ، أصدقاءك حقاً ، فإنهم لاشك معنيون بأبنائك
« اصنع إلينا إذن ياسقراط ، نحن الذين أنشأناك . لا تفكر
في الحياة والأبناء أولاً ، وفي العدل آخر ، بل فكر في العدل
أولاً ، وارج أن تصيب البراءة عند ولاية السالم الأسفل . فإن
فعلت ما يأمر بك به كريتون ، فلن تكون أنت ولا من يتعلق
بك كائناتاً من كان ، أسد أو أقدس أو أعدل في هذه الحياة
ولا في أية حياة أخرى . فارحل الآن بريثاً ، مجاهداً لا فاعلاً
للرذيلة ، ضحية الناس لا ضحية القوانين . أما إن صممت أن ترد
الشر بالشر والضر بالضر ، ناقضاً ما قطعته أمامنا على نفسك من
عهود ومواثيق ، مسيئاً إلى أولئك الذين ينبغي ألا يحسم من
إساءتك إلا أقلها ، أعني نفسك ، وأصدقاءك ، ووطنك ، ونحن ،
فسننقم عليك مادمت حياً ، وستستقبلك قوانين العالم الأسفل ،
وهي إخوتنا ، عدواً ، لأنها ستعلم أنك لم تدخر وسعاً في هدمنا .
اصنع إذن إلينا ، لا إلى كريتون »

هذا هو الصوت الذي كان به يهمس في مسمى ، كما تفعل
نفثات القيشارة في آذان المتصوف . أقول إن هذا هو الصوت
الذي يدوي في أذني ، فيعني من أن أستمع إلى أى صوت سواء
وإني لأعلم أن كل ما قد تقوله بعد هذا سيذهب أدراج الرياح ،
ومع هذا ، تكلم إن كان لديك ما تقوله

كريتون — ليس لدى ما أقوله ياسقراط

سقراط — ذرني إذن أنبع ما توحى به إلى إرادة الله

زكي نجيب محمود

انتهى الحوار الثاني ، وستنشر الحوار الثالث ابتداء من العدد الآتي

التصوف الاسلامي

بقلم سليمان فارس النابلسي

نوط

منشأ التصوف الاسلامي

وقد أيد العلامة (تولذك) هذه النظرية وشاركه في الرأي العالم الانجليزي الشهير (برون Browne) وكان مما استدل به على ذلك الكلمة الفارسية (باشمينابوش) التي يسمون بها عادة، ومعناها اللفظي (لابسو الصوف) وجيب الصوف كانت منذ القدم علامة الحياة البسيطة الساذجة

يرجع بنا البحث عن منشأ التصوف الاسلامي الى الحركة الزهدية التي قامت في القرن الأول للهجرة تحت التأثير النفسي العميق المتكشف عن خوف من الله تعالى يوجب التسليم لأرادته سبحانه والانقياد لمشيئته. وعلى هذا يجعل بنا أن يبحث التصوف في طورين مختلفين

١ - طور الزهر : لم يكن التصوف في هذا الطور نظاماً فلسفياً ولا مسلكاً دينياً وإنما هو طريقة في الحياة والمعيشة خاصة، تمتاز بالزهد في الملذات والابتعاد عن الدنيا حباً في الآخرة، فهو إذن إسلامي خالص لا أثر للعوامل الخارجية والعناصر الأجنبية فيه من نصرانية ويهودية وهندية وفارسية. وكل ما هنالك أنه ظهر في صدر العصر الأموي جماعة من المسلمين رغبوا عن هذه الحياة الاجتماعية المألوفة باللون اللو والتمتك والخلاعة، وتطلخوا إلى حياة هادئة وقورة مرضية لضماهم التي تنشوق إلى الابتعاد عن صفائر الحياة وسخافات مطابقة لعقائدهم التي ما زالت شديدة التمسك بالحياة الاسلامية الخالصة من بساطة وسذاجة. زد على ذلك أن الحياة السياسية كانت قلقة مضطربة، فالفتنة قائمة بين الفرق والشيعة، والمعارك مستمرة بين مختلف القادة والأمراء، كل ينشد جاه الحكم وعبد السلطان غير ملتفت إلى ما يحجره ذلك من هدر دماء المسلمين وتشتيت كلمتهم ورجوعهم إلى جاهليتهم الأولى. كل هذه العوامل غذت الحركة الزهدية وبعثت في قلوب بعض المؤمنين الميل عن المادة والانصراف إلى العمل الصالح في نفسه وتذكير الناس بأمور دينهم وعقائدهم. وبأق (نكلسون) العالم الانجليزي الصليح في هذه الأبحاث فيضيف إلى هذه العوامل عاملاً آخر لا يقل عنها قوة وأثراً، ذلك أن الصورة التي يبرزها القرآن الكريم (للحق) عز وجل هي في نفسها تدعو إلى الخوف والرهبة، فهي صورة إله جبار شديد البطش سريع العذاب. فالشعور بالخوف من جهنم الذي يكتشف قارئ القرآن يدعو حتماً إلى التصوف والزهد واحتقار المادة والابتعاد عن سبل الضلال

يبدأ الدين في أول أمره عقائد راسخة ومناسك ثابتة لا تسامح في أوامره ولا هواده في نواهيه. ثم لا تلبث - بعد أن يتناول الزمن وتعم السنين - أن تلين المريكة وتأخذ المباشرة مكان الماسرة فيدب الشك إلى العقائد الموروثة والسنن المريعة؛ إذ ذاك يبحث الانسان عن عقيدة تسوي ما بين نفسه وبين الكون تسوية مقبولة يرتضيها العقل ويقرها النطق، وعندئذ تنشأ الصوفية والصوفية منجى في الفكر، لا بل في الشعور يصعب تحديده، يظهر في محاولة العقل الانساني تفهيم الطبيعة الروحية لحقيقة الأشياء، ويبرز في بشر المرء وسروره بنعمة الارتباط الروحي مع الخالق العظيم

معنى لفظة صوفي

لقد تباينت الآراء وتضاربت الأهواء في المصدر الذي اشتقت منه لفظة صوفي، فمن قائل إنها من الأصل اليوناني « سوف Sophos » بمعنى حكمة كما ذكر أبو الريحان البيروني في كتاب الهند، ومن قائل - وهم الصوفيون أنفسهم - من صفا صفاء. قال أبو الفتح البستي

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا

قدماً وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أحمل هذا الاسم غير فتى

صافي فصوفي حتى لقب الصوفي

وذهب آخرون إلى أنها متحدرة من معنى ديني، فينسبونها إلى أصحاب (الصفة) وهم قوم من الصحابة كانوا يجلسون على باب المسجد يوزعون الصدقات على الفقراء. على أن الرأي الأكثر شيوعاً والأقرب للعقل والنطق هو نسبتها إلى « صوف » أي إلى ظاهر اللباس. فأبو نصر السراج مؤلف كتاب اللع - وهو أول كتاب ظهر عن الصوفية - يقول : « إن لبسة الصوف دأب الأنبياء وشعار الأولياء، فلما أصفهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسماً مجملًا عاملاً... »

تعاليمه . وإذا ما دققنا في تعاليم هذا المذهب الأدبية رأيناها تؤدي حتماً إلى التصوف ، إذ يعلم أن طريق الخلاص هو بالتجرد التام عن المادة ، وانفصال النفس عنها ؛ بذلك يتصل الإنسان « بالعقل الأول » اللفظ الفلسفي للحق سبحانه ، وينال النبطة التي يعتبر عنها المتصوفون بالفناء . لقد انتشرت هذه التعاليم الفلسفية في العالم الإسلامي ، وكان أثرها في الفلاسفة المسلمين واضحاً جلياً

١ فلسفة المعرفة Gnosticism : جماعة هذا النظام الفلسفي الذي نشأ بين القرنين الأول والسادس للمسيح يعتقدون أن الإيمان وحده لا يكفي للخلاص ، بل إن المعرفة هي متممه . ويمنون بهذا أن يعرف المرء أنه من عنصر إلهي ، وأنه لا بد أن يرجع في نهايته إلى هذا العنصر الذي نشأ منه ، حينذاك وعند ما ينفس في هذا الاعتقاد تخلص نفسه من شوائب المادة ويقرب من الله . وقد انتشر هذا المذهب في العراق وفارس وتأثر بالمانوية وأثر فيها فأخذت منه عقيدة الظلمة والنور . أما إنه أثر في العقائد الصوفية فانا نلمس هذا في القول بأن الإنسان يُخلق إلهياً ، وكلما تقدم في العمر خلع حجاباً إلهياً واستبدل به آخر إنسانياً إلى أن لا يرى بسبعين ألف حجاب في أرذل العمر . ولا نجاة له إلا باتباع تعاليم الصوفية والانصراف عن المادة إلى الروح ، بذلك يسلك طريق النجاة

هذه أهم المؤثرات الخارجية التي عملت على تغذية العقيدة التصوفية الإسلامية وخلقت منها طريقاً فلسفياً خاصاً . وليس من المستطاع رد كل من العقائد التصوفية الفردية إلى أصلها الذي استمدت منه ، فمقيدة في مثل هذا الانتشار العظيم ذات مبادئ كثيرة ونظم واسعة لا يمكن أن تقع تحت تأثير عامل واحد مهما جل شأنه وانفقت الظروف على تقدمته والميل إليه .

كانت الصوفية دائماً بخيرة تنتق من كل العقائد ما تشتهي وتشاء . نظام شامل يمتص ويهضم — بعد بعض تغيير وتحوير — من كافة الآراء والمعتقدات المختلفة حوله ، يكتسب أناساً من كافة الملل والنحل من موحدن ومشركن ، معتزلة وسنيين ، فلاسفة ورجال دين . هذه الاعتبارات كلها تضمننا في موقف دقيق يضطرنا إلى القول بأن منشأ الصوفية الإسلامية الفلسفية لا يمكن أن يجاب عنه بجواب شاف صريح

(يتبع)

حليمان فارس للطباعة

ومن أهم الشخصيات الممتازة في هذا الدور الحسن البصري الذي عرف بالزهد والورع والرجوع إلى السنة في بساطة العيش وسمو الغاية . ومنهم أبوهانم الكوفي الذي يقال إنه أول من أطلق عليه لقب « الصوفي » وأسس ديراً للمتصوفين في رملة فلسطين . ثم ظهر ثلاثة نفر فيما وراء النهر في فارس في أواخر القرن الثاني الهجري وهم : إبراهيم بن آدم وشقيق البلخي وفضيل بن عياض ، فزرى عندهم بدء نظام فلسفي ، فهم يمثلون دور الانتقال من حياة الزهد إلى نظام التصوف الفلسفي ، ولعلهم كانوا عاملين على الامتزاج بالتعاليم الهندية الفارسية لقرب موطنهم من هذه البلاد التي كانت تتفاعل فيها هذه المبادئ المختلفة . ويظهر ذلك بجلاء عند الزعيمة المتصوفة رابعة العدوية التي كانت كما يقول نكلسون أول من أدخل نظام الحب الفلسفي والوجد والاتحاد بالله بدل الخوف والرغبة

٢ الطور الثاني : التصوف الفلسفي

لقد أخذ التصوف في هذا الطور شكلاً فلسفياً ونظاماً مستقراً في الدين يميل العلماء إلى نسبته إلى عوامل خارجية من نظريات فلسفية وأديان أخرى . فمن ذلك :

أ - المصدر الزنزي : يعتقد بعضهم أن لهذا التشابه بين كثير من العقائد الصوفية في صورها الراقية الناضجة وبين بعض النظم الهندية وعلى الأخص ال Vandata أساساً واحداً ومنبعاً مشتركاً يجب أن يبحث عنه في الهند ، فان معظم المتصوفة الأول نشأوا في خراسان وظهرت فلتنفهم الصوفية فيها ؛ ولعل مبدأ الفناء الذي يندمج فيه المتصوف بالله ويفقد شخصيته الفردية ، مستمد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من عقيدة « النارانا » Narvana الموجودة في الديانة الهندية

ب - المصدر النصراني : يعتقد المتصوفة أن غاية كل الأديان واحدة ، وأنها كلها تصل بالإنسان إلى الهدف المقصود والغاية المرجوة ، فليس غريباً إذن أن يحتك المتصوفون بالربان المسيحيين ، ويمتزجوا بهم فيظهر أثر ذلك في تعاليمهم وأنظمتهم ، خصوصاً وقد ظهرت هذه النزعة التنسكية الزهدية في الكنيسة المسيحية في القرنين الأول والثاني للهجرة

ج - الافرطونية الجبرية : ظهر هذا النظام الفلسفي في أوائل القرن الثالث المسيحي على يد (أمونياس ساكاس) وبلغ أوجه في زمن تلميذه بلاتينيوس وفرفوروس النحوي شارح

في تاريخ الأدب المصري

ابن النبيه

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

أفديه إن حفظ الهوى ، أوضيما ملك الفؤاد ؛ فاعسى أن أصنما
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلوا فقد جهل المحبة وادعى
بأيها الوجه الجميل تدارك الصبر الجميل ، فقد عفا ، وتضعضا
هل في فؤادك رحمة لتيتم ضمت جوانحه فؤاداً موحجماً
هل من سبيل أن أثبت صبابتي أو أشتكي بلواي ، أو أتوجع
إني لا أستحي كما عودتني بسوى رضاك إليك أن أتشفع
أغنية شائعة ، نستمع إليها ، ونطرب لها ، ونحفظها ، وقليل
منا هو الذي يعرف أن قائلها ابن النبيه الشاعر المصري الذي
أحببنا أن نحدثك عنه اليوم

- ١ -

يذكر التاريخ ولا ينسى لصلاح الدين وخلفاء صلاح الدين
أنهم هم الذين حموا دمار الشرق من غارة الأوربيين الذين كانوا
يمنون النفس بالآمال الكاذبة في الشرق وامتلاك أرضه ، فكان
العصر عصر حرب وقتال ونضال ونزال بين الشرق والغرب ،
خرج منه الشرق ظافراً منتصراً على أيدي ملوك مصر
وخلفائهم . واقد ولد شاعرنا على ما يظهر قبل أن يلى صلاح
الدين حكم مصر بقليل ، ولكنه نشأ وشب في أحضان تلك
الدولة وفي عهد حكمها الرشيد ، ولكنه لم يعيش عصر طوال
حياته ، بل تركها إلى أقطار أخرى كانت كذلك تحت حكم
الأيوبيين ؛ غير أنه على ما يظهر لي - لم يفادر الديار المصرية مرة
واحدة ، بل كان يزورها في الحين بعد الحين ، واستطاع أن يتصل
فيها بطائفة من وزراء الدولة وكبار رجالها كالقاضي الفاضل ،
وأسمد بن ماني ، وصفي بن شكر . والراجح عندي أنه لم يفادر
مصر إلا بعد أن مات صلاح الدين ، فإنه حينما خرج من مصر
مدح العادل ، والعادل لم يلب حكم الجزيرة إلا بعد أن مات صلاح
الدين ، ولذلك فإن النبيه مدين لمصر بثقافته وثقافته ، ومدين
لها بالرفقة والمذوبة التي تتجلى في شعره ، وتأسرك إلى قراءته

قصرأ ، غير أن نفسه الطموح الراغبة في العظمة والمجد بدأت
تتطلع إلى نيل مركز سام ومنصب رفيع ، ورأى أن في مصر
من العطاء من لا يستطيع قهرهم ولا منافستهم ، غث الخطأ إلى
الجزيرة حيث يستطيع أن يجد له ميداناً للعمل والتقدم ، فاتصل
بالمالك العادل ، ومن بعده اتصل بابنه الملك الأشرف الذي كان
يلقب بشاه أرمن لاستيلائه على بلاد الأرمن ، وقد اختص بهذا
الأخير ، حتى إنك إذا قلبت ديوانه وجدت معظمه في مدحه
والثناء عليه ، وحتى لتوهك مقدمته أنه إنما جمع قصداً لكي
يجمع ما قاله في الملك الأشرف من مدائح ، ولقد أصبح أنيراً
لديه يستصجبه في رحلاته وتنقلاته ، وأصبح ابن النبيه اللسان
السجل لما يلقاه اللبكي من خير أو نصر أو حادث هام ؛ وصار
كاتب الانشاء له ، يدبج عنه الرسائل ، وأحياناً كان يكتبها
بالشعر كما سنتحدث بعد . ويقول من أرخ لابن النبيه : إن له
شعراً أعذب من الماء الزلال ، وأغرب من السحر الحلال ،
وثرأ ألطف من كسات الشمول ، وأرق من نسبات الشمال ، فالنظم
والنثر عنده جنتان عن يمين وشمال . . . غير أننا سنقصر كلامنا
اليوم على شعره ، وإن كنت أرجح أن المقدمة التي في صدر
ديوانه ، وهي مقدمة تربية من صنع ابن النبيه فإن منها قوله :
وأحق الناس بعد الله تعالى بالشكر ملك أشار إليه بنان البيان ،
وأينع يذكره جنان الجنان ، وقد يذكره القريض فزان الأوزان ،
عف وعفا ، وكف وكفى ، وأحيا رفات الوفا ، فزمان دولته غض
القضارة ، نص النضارة ، حلو البشارة ، بديع الإشارة ،
المولى السلطان الملك الأشرف شاه أرمن ، سلطان العراق
والشام ، مظفر الدين ناصر أمير المؤمنين ، أبو الفتح موسى
ابن السلطان الملك العادل سيف الدنيا والدين ، أبي بكر بن
أيوب خليل أمير المؤمنين ، خلد الله ملكه كما خلد في ديوان المحامد
ذكره ، وخذل بسلطانه أعداء الدين ، وأعز نصره ، ولما لم يجد
مملوك دولته ، وغرس فواضله ، وربيب نعمته ، الفقير إلى الله
تعالى أبو الحسن كمال الدين علي بن محمد بن النبيه ما يكافي به أياديه ،
ويجاري به إحسانه الذي ينجل الفيث روائحه وغواذيه ، توفر
على استخراج جواهر صفاته من بحر كرمه ، ونظم فرائد فولده
فكافاً نعمه بنعمه ، وجمعا في هذا الكتاب معترفاً أن الشرف

للجواهر لا للنظم ، وأن الفضل للبحر الذي أرسل الغيث على
أجنحة الغمام ، وجعله عرضة لقد الحواطر ، وميداناً لجولان
قريجة كل متأمل وناظر ، وسبيل كل منصف ينظر فيه الايمان
بآيات سحره المبين ، وإقالة النار فيما لعله يمرض من الخطل
الوارد على المؤلفين والمصنفين ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا يحبون
أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم . فإذا أنت قرأت تلك المقدمة

وأنصت إلى قوله : لم يجد مملوك دولته إلى آخر ما قال استطعت
أن ترجح أن تلك المقدمة من قلم ابن النبيه ، واستنبطت منها
أموراً أربعة : أولها أن القصد من جمع الديوان تسجيل ما قاله في
الملك الأشرف ، ولذلك رتب الشعر ، فبدأ أولاً بما قاله في الخليفة
العباسي ، لسيادته الروحية على العالم الاسلامي كله ، ثم تبي بما قاله
في الملك المادل والد الأشرف ، ثم ثلث بما قاله في الملك الأشرف ،
وهو معظم ما قاله من الشعر ، ثم ذكر ما قاله في غيره من أمراء
الأيوبيين والوزراء . ثانياً أن الشعر الذي في ديوان ابن النبيه
شعر يقره ويرضاه ويمده سحرًا ويفخر بنسبته إليه ، ومن أجل
ذلك ترى من أرخ له يقول : إن هذا الشعر الذي بين أيدينا ليس
بكل شعره وإنما هو اختيار منه ، مستدلين على ذلك بأنه شعر
بارع جيد يدل على أن صاحبه قد مرّن على قول الشعر طويلاً حتى
انتقاده ، وأصبح ذلولاً ، خذف منه ما لا يرضى وأبقى منه هذا
الديوان الصغير ، الذي اشتمل على جيد شعره ، (وإلا فما هذا
شعر من لا نظم إلا هذا الديوان الصغير) كما قال صاحب فوات
الوفيات ، على أنه على ما يظهر لم يجمع ديوانه كله ، إذ أنك ترى في
آخر ديوانه بعض شعر وقصائد ألحقها به جامع الديوان بعدد ابن
النبيه . ثالثاً أن شعر المدح يجب أن ينبعث عن عاطفة حية هي
عاطفة الشكران وحفظ الجليل ، وهو يرى أن المدح لذلك واجب
لأنه شكر للنعم على ما أنعم ، وشكر للنعم أول الواجبات قال ...
إن شكر كل منعم واجب ، وقام على ذلك دليل انعقد عليه إجماع
أئمة المذاهب ، وذلك يدلنا على أنه لقي حقاً من ممدوحه حسن
الصنيع وأبداً جمة استحق من أجلها أن يشكر وأن يثنى عليه .
رابعاً أن تلك المقدمة تعتبر نموذجاً لنثره ، وهي لذلك تستطيع أن
تصطينا صورة عن هذا النثر الذي دبحته راعة ابن النبيه ، فهو نثر
صناعي يلتم فيه السجع ، ويكون للصناعة المحل الأول في إنشائه ،

شأنه في ذلك شأن كتاب النثر في ذلك العصر الذي حمل لواء
الرعاة فيه القاضي الفاضل ومن سجع منهجه ، فلا جرم كان نثره
صناعياً خاضعاً لأحكام البديع وقوانينه ، هذا وإن شعره ونثره
وتولييه أعمال الانشاء للملك الأشرف تدلنا على نوع الثقافة التي
تلقاها حتى هيأته لتولي ديوان الانشاء فهو علوم الدين واللغة
العربية تلك العلوم التي كان لزاماً أن يأخذ منها بحظ وافر يساعده
على تولى هذا المنصب ، ولقد تلقى هذه الثقافة بمصر ، إذ أننا قد
رجحنا أنه لم يغادر وادي النيل إلا بعد موت صلاح الدين ،
فيكون قد شب وترعرع في أرض مصر ، والثقافة المصرية
كانت زعيمة الثقافات ، كما كان ملوكها زعماء الملوك

— ٢ —

لأن النبيه مذهب في الحياة يشبه مذهب غيره من شعراء
مصر أو على الأقل شعراء مصر الذين درسنا أقوالهم ، ذلك المذهب
الذي ينظر إلى الحياة نظرة من يريد التمتع بما فيها من خير وجمال ،
لا يصدف عنه ، ولا يتأى بجانبه عن حسنه وما كن فيه من
أسباب السرور والمتعة ، فهو يوقن أن الدنيا متقلبة ، فهي حيناً
ضاحكة ، وأحياناً عابسة ، فإله يمكر على نفسه صفوها حيناً تكون
صافية ، وما له لا ينزه الفرس وينال اللذة ؟

خذ من زمانك ما أعطاك مفتها وأنت ناه لهذا الدهر أمره
فالممر كالكأس تستحلي أوائله لكنه ربما حجت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا عظيم ذنبك ، إن الله غفره
وكان لهذا المذهب آثاره الكبرى في حياته العملية ، فهو
يحب الخمر ويطرب لشربها ، ويترع الكأس وبروى بها ظمأ
نفسه ، وهو يهفو إلى السقا يتنزل فيهم ، ويصف محاسنهم ،
وقد كان السقا يختارون من أجل الفتيان وأصبحهم ؛ بل إنه
يهفو إلى كل وجه جميل ، ولو كان وجه جندي من الكافة ، وهو
يحن إلى مجالس الأنس يسمي إليها ويدعو صبيه ليشاركوه لذته ،
وهو يأنس إلى الطبيعة يحب جمالها ، ويفرم بغفاتها فيصفها ، وهو
يجد لذة في الخروج إلى الصيد يخرج إلى الفلاة مع رفقة حسان
الوجوه ، ثم يمود بما وقع في يده من صيد ، وذلك كله نتيجة لهذا
المذهب الذي اختطه لنفسه ، وكان شعره صورة حية له ، فأنث
تسمعه يصف الخمر ويقول :

تأمل حكاؤس عتيق الرخي في ترى الماء يجمد والخمر ذائب

لها في الزجاجه رقص الشب اب ومفرقه أشمط اللون شائب
وترعد غيظاً إذا أبرزت من الدن كالمصنات الكواعب
كان الحباب على رأسها جواهر قد كلت في عصائب
لمرئها صبح عند الجوى من أن السجود الى النار واجب
ويصف موطن لذة نال فيه السرور من الحر والساقى ويقول :
رق الزجاج وراق كأس مدامنا ورضاب ساقينا الأغصن الأهيف
فرجت ذاك بهذه ومربتها ولثمه ، وضمته بتلطف
وجنيت من وجناته لما استحي وردا بغير رضا بنا لم يقطف
ورنا الى بطرفه فكأنما أهدى السقام لدنف من مدنف
بتنا وقد لف المناق جسوننا في بردتين : تكرم ونعفف
ويقول مرة أخرى متفرلاً بالساقى وكان من الأتراك :
ساق كأن جبينه في شعره قمر تبليج في الليالى السود
غصن ترنج خصره في ردفه فعميت للمعدوم في الموجود
إياك والأتراك إن لمصهم أشخاص غزلان وفل أسود
أجسامهم كالألأ إلا أنها حملت قلوباً من صفا الجمود
وتسمع منه غير ذلك كثيراً في وصف الحر وسقاها والتغزل
فيهم ؛ ولعل بعضهم لأمه على شرب الحر أو على الاكثار من
شربها فقال له :
الراح روحى ، فكيف أهجرها منظرها طيب ونجربها
راح إذا ما الفقير صافها أغناه ياقوتها وجوهرها
فاذا ذهبت نستمتع الى حبه للطبيعة وغرامه بها سمته يقول :
قس بالسما الأرض تعلم أنها بكواكب الأزهار أحسن زخرف
أحداق رجبها لحد شقيقها مبهوتة بجماله لم تطرف
والطل في زهر الأفاق كأنه ظلم رفرق في ثنايا مرشف
وهو إحساس طيب وشعور حميد يوجه نظرك الى أن في
الأرض جمالاً قد تزيد قيمته عما في السماء من نجوم وكواكب ،
فليقبل على الزهور يتمتع بمراها ، ويستلذ بشميم رايها وينعم
بجمالها . كما كان له - كما حدثتك - لذة خاصة في الصيد حينما يخرج
مع جماعة (حسان الوجوه) فيصطادون ويتمتعون وهو يصف
لك ذلك في قوله :
برزنا الى اللهو في حلبة حسان الوجوه خفاف المراكب
بنادقهم في عيون القسي كأحداقهم في قسي الجواب
فتلك لها طائر في السما وهذى لها طائر القلب واجب

وحالت سوايق شهب خوا طف حجن لنا سرحو الخالب
زاة لها حديق الأنفوا ن وأظفارها الحكمة المقارب
فلألق نسران : ذا واقع وذا طائر حذر الموت هارب
وأطلق كلابنا ضارباً يبارى حبوب الصبا والجنائب
تطير به أربع كالربا ح ويفتر عن مرهفات قواضب
ويضرب في ليل جلابه شمع شهاب من العين ناغب
وعدنا بجر ذبول السرور والطير والوحش ملء الحقايب
ألا تراه يصف لك رحلة شيقة ؟ إذ أنه قد خرج مع جماعة
حسان الوجوه بقصدون اللهو والتمتع فاختراروا الصيد ملهى لهم
فخرجوا ييغونه ، ولكنه قبل أن يصف لك ما فعلوه في رحلتهم
مضى يحدثك عن جمال رفقته وأن عيونهم كالسهم تصيب القلوب
وتدميها ، فأحداقهم كالبنادق هذه هدفها طائر في السماء ، وتلك يجب
لها طائر القلب ويحقق
ذهبوا الى مكان الصيد فأطلقوا بزاتهم وكلابهم فانطلقت
لا تلوى على شيء تصطاد ما عن لها ، وبعد أن وصف لك بزاتهم
وكلابهم التي كانت عندهم طمأنئك على نتيجة الرحلة وأنها
أنتجت نتيجةها فعادوا يجرون ذبول السرور والطير والوحش
ملء الحقايب
هذا وكان أكبر شيء يسره مجلس أنس يجمع بين روضة
فيها مختلف الأزهار والورد حفي بها نهر ، وهناك بين أصحابه يجلس
مغن يطرب السامع ويملك عليه نفسه ، ثم تدور المدام في يد ساق
جميل فيسكر سكرين من الحر وجمال الساق . وقد وصف ذلك
المجلس حينما أرسل الى أحد أصحابه يستدعيه إذ قال :
نحن في روضة وزهر ونهر ومدام كالشمس من كف بدر
ومغن قد راسلته الشجار ير ، فأغنت عن جس عود وزمر
أنت روح ، ونحن جسم فان غبت ت فان القلوب تكوى بحجر
إن كفا إليك قد كتبها تنهادى ما بين سكر وشكر
فأنت ترى من كل ما ذكرناه أنه كان يذهب في الحياة مذهب
الذين يريدون أن ينالوا منها كل متعة ولذة ، ياتمسونها في كل
مكان ، وترى أن مثله الأعلى في الحياة كان أن يتمتع بها ، ولا يرضى
على نفسه بشيء من نباهجها ، وكله ثقة في أن الله سوف يغفر
الذنوب جميعاً

أحمد محمد بوري

(البقية في العدد القادم)

٦ - بين القاهرة وطوس

نيسابور

للدكتور عبد الوهاب عزام

برحنا سبزوار والساعة ثمان من صباح الخميس ثاني رجب سنة ١٣٥٣ (١١ أكتوبر سنة ١٩٣٤) فصرنا في السهل صوب الشرق نصف ساعة . ثم ارتقينا جبلاً هبطنا منه إلى سهل فسيح ، وهكذا رأينا إيران ما بين قصر شيرين وطوس ، سهولاً تحيط بها جبال ، فما يزال المسافر على جبل أو في سهل يفضي البصر فيه إلى جبل حينما توجه . هبطنا سهلاً كثير الشجر والزرع ، قد انتشرت القرى في أرجائه ، تحيط بها الأشجار الباسقة ، ورأينا زروعاً شتى منها البطيخ والقطن . ورأينا لوز القطن قد تفتح ، ولما تعد الأعواد ذراعاً

وبعد مسيرة ساعة وربع من سبزوار ، زلنا بقرية على الطريق اسمها شوراب ، فأكلنا من عنبها واسترحنا قليلاً . ثم استأنفنا السير لتقاء نيسابور والقلوب يملؤها الشوق ، والفكر يستجمع ما وصى من أحاديث التاريخ عن المدينة العظيمة ذات المياه والقرى والأشجار — المدينة ذائبة الصيت في العلم والأدب التي نشأت علماء يفتخر بهم المسلمون على الأدهار ، بلد مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح ، والحاكم المحدث الكبير ، وأبي القاسم القشيري صاحب الرسالة ، ومحبي الدين النيسابوري الفقيه ، وفريد الدين العطار وعمر الخيام — المدينة التي يقول فيها الخيام شراب نسا بور وآب دبير جواني كندگر خور د مردبير وترجمته (شراب نيسابور وماء دبیر بردان الشيخ إلى شبابه) ويقول الأنوري :

حبذا شهر نسا بور که در بشت زمين

گر بهست است همين است وگر نه خود نيست
وترجمته « حبذا مدينة نيسابور ! إن يكن على ظهر الأرض جنة فهذه ، وإلا فلا جنة »

نيسابور مدينة أزيلية ، يروى الفرس أن بابنها طهمورث ثالث الملوك البشدايين ، وأن أسكندر الكبير خربها ثم عمرها شاپور الملك الساساني فسميت باسمه . وقد عرفها اليونان القدماء

وسموها نيسوس . ويقال لهم سمو با كوس إله الخمر ديونيسوس أي إله نيسابور

وقد تماقب عليها البناة من الساسانيين والعرب والفرز نوين والسلاجقة كما توالى عليها النواب من الزلازل والغارات في عصور شتى . أصابها زلزال عظيم سنة نيف وخمسة من الهجرة وسنة ٦٦٦ وسنة ٨٠١ . ودمرها الشتر سنة ٥٤٨ حين غلبوا السلطان سنجر السلجوقي وأسرده . وحى المصيبة التي نظم فيها الأنوري الشاعر الفارسي قصيدته المعروفة « دموع خراسان » ولكن المدينة على رغم هذه المصائب كانت في معظم العهد الإسلامي قبل التتار عاصمة مزدهرة حتى سميت أم البلاد وقبة الاسلام

وقد رووا في عمرائها ونضرتها ما يستبده العقل . فمن عجائنها الاثني عشرية أنه كانت بها اثنا عشر معدناً للفيروز والنحاس والرمز وغير ذلك . واثنا عشر نهراً تنحدر من الجبال ، واثنا عشر مائة مدرسة (أي ألف ومائتان) واثنا عشر مائة قرية ، واثنا عشر ألف قناة تجري من اثني عشر ألف ينبوع قال باقوت ، وهو ممن أدركوا غارات التتار :

« وأصابها النز في سنة ٥٤٨ بمصيبة عظيمة حيث أسروا الملك سنجر وملكوها أكثر خراسان ، وقدموا نيسابور ، وقتلوا كل من وجدوا ، واستصفوا أموالهم حتى لم يبق فيها من يعرف ، وخربوها وأحرقوها ، ثم اختلفوا فهلكوا . . واستولى عليها المؤيد أحد مماليك سنجر فنقل الناس إلى محلة منها يقال لها شاذباخ وعمرها وسودها ، وتقلبت بها أحوال حتى عادت أعمر بلاد الله وأحسنها وأكثرها خيراً وأهلاً وأموالاً لأنها دهليز الشرق ، ولا بد للقوافل من ورودها . » وقال بصفها قبيل غارة التتار : « وعهدى بها كثيرة الفواكه والخيرات » وقال : « لم أرفيا طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها »

ثم كانت القارعة التي دمرت حضارة الاسلام — كارثة التتار — فأحرقوا وهدموا ، وقتلوا وسبوا وسلبوا ، وتركوها خاوية على عروشها ، ولم تنسها المصائب من بعد ، فقد أغار عليها الأتراك وغيرهم في عصور مختلفة

ذكرنا هذه الخطوب ونحن قادمون على نيسابور ، ولكن خيال المدينة الكبيرة المزدهرة المزدهرة بمساجدها ومدارسها كان يقلب علينا فتمنى النفس رؤية نيسابور في زينتها وجلالها وردناها والساعة عشر وثلث فأبصرنا إلى يسار الجادة قرية

كنا لاعبين على نطع هذا الوجود ، فعدنا إلى صندوق العدم
واحدًا بعد آخر^(١)

وعلى الصفحة الثالثة رباعيتان :

ظهر بحر الوجود من الخفاء ، وما استطاع أحد أن يشق
جوهره الحقيقة هذه ، كل تكلم بما بهوى ، وما قدر أحد أن
يبين عن الحقيقة

ليس عندنا يقين ولا حقيقة ، ولا استطاع رغبة العمر كله في
رحاء هذا الشك ، هلم نأخذ أقداح الصبأ بأيدينا لا نضعها ،
ما فرق الصاحي والسكران في هذه الجمالة ؟

وعلى الصفحة الرابعة رباعيتان :

أولئك الذين كانوا بحار الفضل والآداب ، وصاروا في كلهم
مصاييح الأصحاب ، لم يجدوا للخروج من هذا الليل المظلم طريقاً ،
فخذتوا بالأساطير ثم أخذهم النوم

إن هذا الدوران الذي يتجلى فيه مجيئنا وذهابنا ، لا نستبين
له بداية ولا نهاية ، ولا يستطيع أحد أن يخبر صادقاً من أين
جئنا وإلى أين نذهب »

وراء قبر الخيام مزهرة جميلة كتب على أرضها بألوان
النبات : « حكيم عمر خيام » ، ورأينا بجانب القبر خاية ، كأن
واضعها رأوا مناسبة بينها وبين قبر الشاعر الذي كان مستمراً بالحمر .
وقرأت على هذه الخاية أنها موقوفة على مسجد إمام زاده محمد
المحروق . فقلت قد وضعت في غير موضعها ، وقرنت بما هي منه براء
وقد مُدَّ وراء قبر الخيام رواق كبير وضعت فيه كراسي

للجلوس ومدت فيه موائد الطعام

استراح الوافدون قليلاً واجتسوا ما شاءوا من أصناف
الشراب ثم وقفوا يشربون على ذكر الخيام ، قلت بئس ما ذكرتم
صاحبكم ! وانتبذت أنا وزميلي الأستاذ العبادي جانباً وتركنا القوم
وخيامهم . قلت لبعض رفقاتنا الإيرانيين أين قبر المطار ؟ فلا
بد لقادم نيسابور أن يزوره ، فيسر لنا السير إليه فذهبت أنا
وبعض الحاضرين إلى قبر المطار . سارت بنا السيارات في طريق
غير معبدة فأنهيننا إلى حديقة ذابلة الشجر والزهر ، وفي وسطها
بنية ثمانية عليها قبة ، ولجنا الباب خاشعين إلى قبر عال عليه
كسوة خضراء ، وإلى رأسه عمود أسود أطول من القامة قليلاً

(١) إشارة إلى لبة الشطرنج

هي بقية الأحداث من نيسابور ، كما يبقى من الجنة الناصرة عود
يابس ، أو من الرجل العظيم قبر دارس

ماتت المدينة فلم يبق إلا أن نزور قبرها فيما بقي من قبور
أبنائها ، فيها نحن أولاء نسرع السير إلى قبر عمر الخيام . وقفت بنا
السيارات بعد قليل على حديقة بعيدة من البلد فدخلنا بستاناً
كبيراً تتوسطه طريق واسعة ، فهبطنا درجات إلى مستوى سرنا
به خطوات ، وهبطنا إلى مستوى آخر ، وبجانبتنا قناة تتحدر إلى
المستوى الأسفل فتفضي إلى حوض في وسط الطريق . وتنتهي
الطريق إلى مسجد صغير جميل نقش على بابه آيات من القرآن ،
واسم الشاه طهما سب الصفوى الذي بناه . وفي المسجد ضريح
لأحد أبناء الأئمة من آل البيت النبوي رضي الله عنهم ، واسمه
محمد المحروق وينتهي نسبه إلى زين العابدين علي بن الحسين

. وإلى يمين المسجد مصطبة لها درجات قليلة ولها سياج من
الرخام وفي وسطها عمود كتب على أوجهه أبيات من الشعر .
فهذا قبر عمر الخيام . وقد سمعت ممن زاروا القبر قبلاً أنه كان في
طاق في جدار المسجد (وفي جدار المسجد على جانبي الباب
طاقان) ثم نقل إلى هذا الموضع

لم بمجئنا قبر الخيام ، فقلت لوزير المعارف ، كان ينبغي أن
تكون بجانب القبر أشجار تهطل أغصانها عليه ، وتثر الأزهار
فوقه كما وصف الخيام قبره قبل موته ، وكما رآه نظائى العروض
بعد موت الخيام فوجده مصداقاً لما قال . قال نعم . لا بد أن يكون
كما وصفت

كتب على صفحة من العمود : « الحكيم عمر الخيام - وفاة
الحكيم سنة ٥١٧ هجرية - » وفوق ذلك رباعية من نظم ملك
الشعراء بهار ترجمتها : اجلس إلى قبر الخيام واقض الوطر ، وابتغ
فراغ ساعة من غم الأيام . إن تسأل عن تاريخ بناء مرقده فهو
« أطلب سر القلب والدين من قبر الخيام » (راز دل ودين
وقبر خيام طلب)

وعلى الصفحة الثانية رباعيتان ترجمتهما :

عاد السحاب يبكي على المشب الأخضر ، فلا يبنى العيش
بغير الحمر الحمراء . هذا المرح مسرح أبصارنا اليوم ، فليت شعري
من يبرح بصره غداً في أعشاب قبورنا ؟

نحن كُعب ، والفلك بنا لاعب ، حقيقة هذه لا مجاز فيها ،

حمة المطار توقظك حتى لا تخلو لذة من ألم^(١) إن نبتغ
الحبيب فلا بد من السمي الجاهد ، وإن ترد اللذة (نوش) فلا بد
من الحمة (نیش) . إن تكن ذقت حلاوة الخيام ، فوخزة المطار
خير يا عزام

من يحرك يوقظك من الغفلة ، ومن ينعّمك يدعك في غمرة .
وخزة اليقظة تبعذك من الضلال ، واللغو ينأى بك عن السداد ،
وانبعثت حينئذ من هذا الحدث صيحة بينة مفصحة وعنها
أرواحنا :

« يا من اختلط وجوده بالعدم ، وامتزجت لذته بالألم !
إذا لم يتداولك الهبوط والصعود ، فكيف تعرف نفسك في
هذا الوجود^(٢) »

رجعنا من المطار الى الخيام فذكرت في الطريق قول
حافظ الشيرازي . . .

(يتبع) عبد الوهاب عزام

(١) في الأصل « نيش ونوش » أي الوحزة واللذة وما كلتان مقترتان
في الأدب الفارسي تقارب اللفظين
(٢) هذان البيتان للمطار نفسه

عليه آية انكسري وأبيات في مدح الشيخ فريد الدين العطار .
لبننا برهة في حصرة شيخ الصوفية الحليل ، والشاعر المفلح المكثر
الذي نظم زهد ، ثلاثين منظومة فيها أكثر من ألف ألف بيت -
ناظم منطق خبير . والآهي نامة ، وأسرار نامة ، وجوهر الذات الخ
ومؤلف تذكرة لأولياء ؛ ثم بؤنا بغير ما جاء به أصحاب الخيام ،
والقلب حشيم . والذكرى الجليلة آخذة على النفس آفاقها
وهنا صيغة لا يسمى إياها :

بينما أخرج من باب حديقة العطار أحسست بوخزة في كفي
فظننت زنبور سمي ، فأخبرت رفيق الشاعر الشاب النابغة
رشيد الياسمي فضحك وقال : قبلت الزيارة . قلت : لا غرو أن
تكون وخزة من المطار ينهني بها من الغفلة . ألم يقل معاصرو
المطار : « يا شمره سوط السالكين » ؟ قال بلى . ثم ارتجى
بيتاً قارباً

نيس عطار است ابن ، زنبور نيست

گر تحمل میکنی زو دور نيست
(هذه حمة المطار لاسمة الزنبار ، فان تحملت فهو أهل لذلك)
فأجته في نفور :

لسع الزنبار كني عادياً ودواءً كان شمر الياسمي
ولم قدت مشهداً جاء الى شاعرنا النابغة وقد نظم أبياتاً
كثيرة في هذه الواقعة أترجمها نثراً فيما يلي معتذراً اليه من هذه
الترجمة المترجمة التي لا تفي بشمره السلس ، ومعذراً الى القراء
عما فيها من مدح :

جاء عزام من أرض مصر المختارة الى نيسابور من أرض
إيران ، فزار أن يقبل تربة المطار إذ ملأت محبته روحه ، وذهب
بدهاء الى مرقد الخيام فرأى مكاناً ناضراً زاهراً ، وسمع صيحات
الطرب ، ورنات الكؤوس من كل جانب ، ورأى القلوب تفور
بنار الصفاء . فـ عزام : أيها القلب دع بساط الشراب والسرور ،
واعجل الى عطار ذلك الشيخ الوقور ، فسلك الصحراء رجل
الطريق^(١) هذا حتى رأى قيراً عليه حجر أسود ، فلم سدة المطار
وطاف في هذه البقعة المباركة . ثم صاح بفتة وقال مضطرباً : قد
أصاب كني زنبار . قال له الياسمي : يا عالم مصر ! بل يا أيها الدر
المتلألئ في بحر مصر !

(هذه حمة المطار لاسمة الزنبار ، فان تتحمل فهو لذلك أهل)

(١) الطريق هنا طريق الصوفية

ظهرت الطبعة الجبريدة لكتاب

رفائيل

صحائف سن العشرين

شاعر الحب والجمال لا مرنين

مترجمة بقلم

احمد حسن النيات

والقصة قطعة من شباب لامرئين ، وجذوة من
شعوره ، ولحن من شعره . طبعتها لجنة التأليف والترجمة
والنشر طبعة أنيقة منقحة رخيصة فاطلها منها أو من ادارة
الرسالة أو من أي مكتبة

البعث

بقلم فريد عين شوكه

إلى مهد الرسالة في عالمها الثالث
نحية عيد الوطن وعيد البلاد

وَيَسْتَعِدُّ الصَّيَّاعَ بِهَا وَيُفَرِّقِي
وَيَحْسُدُهُ الْبَنُونَ وَقَدْ تَنَاسَوْا
لَقَدْ أَقْنَى الْحَيَاةَ بِهَا جِهَادًا
وَكَمْ ضَاقَتْ مَوَارِدُهَا وَلَمَّا
وَلَوْ حَرَمَتْ نَفُوسُهُمْ جَنَاهَا
فِي الْفَرَاغَةِ الْأَبْنَاءَ حَتَّى
وَبِالْهَوَانِ حَتَّى اسْتَرَا حُوا
صَحَوْنَا أَيُّهَا الْوَطَنُ الْمُدَى
وَجَمَعْنَا هَوَاكَ عَلَى صَفَاءِ
سَدَفُوعٍ عَنْ حَمَاكَ فَلَا يُغَشِّي
فَلَا يَلْقَى الْغَرِيبَ لَهُ كِفَافًا
ثَرَاءٌ نَحْتُ أَعْيُنَهُ تَرَامِي
مَتَى أَتُرَى وَكَيْفَ بِهَا تَسَامِي
وَهُمْ عَبَّرُوا حَيَاتَهُمْ نِيَامًا
يَضِيقُوا بِالْكَفَافِ لَمْ طَعَامًا
لَمَاشُوا رَغْمَ وَفَرَّتِهِ صِيَامًا
رَضُوا بِالْمِيشِ ذُلًّا وَاهْتِضَامًا
إِلَى أَنْ يَصْبَحُوا فِيهَا طِفْلاً
وَقَدْ نَسَرَدُ لَكَ السَّنَامَا
قَدْ ضَقْنَا بِوَادِيكَ انْقِسَامًا
وَنَزَعِي عَذْبَ وَزْدِكَ أَنْ يُسَامَا
وَلَا يَرَوِي بِوَادِيْنَا أَوَامَا

في مصر شباب !

على أثر ما قام به الشباب طيلة أيام العيد من جهاد في سبيل الاقتصاد

بقلم محمود غنيم

أَمَنْتُ أَنْ فِي الْحَيِّ شَبَابًا
يَنْتَزِعُ التَّهْنَاءَ وَالْإِعْجَابَا
شَاهِدَتُهُ وَقَدْ مَشَى أَسْرَابَا
مَرْتَدِيًا مِنْ طَهْرِهِ جَلْبَابَا
تَحَالَهُ إِذَا مَشَى شَبَابَا
تَقَدَّمَ الصَّبَاءَ وَالْأَكْوَابَا
مَنْ نَاطَحَتْ أَهْرَامُهُ النُّحَابَا
أَوْ يَسْجُ الصُّوفَ لَهُ ثِيَابَا
بَلْ ابْتَنَوْا الْمَضْنَعَ وَالْدَوْلَابَا
يُمَطِّرُ مِصْرَ ذَهَابًا لِبَابَا
إِنْ تَفْتَحُوهُ تَفْتَحُوا أَبْوَابَا
مَنْ يَنْتَزِعُ مِصْرَ ذَهَابًا لِبَابَا
لَمْ أَرِ شَمًّا بَلَغَ الْآرَابَا
أَوْطَانُنَا عَشْنَا بِهَا أَغْرَابَا
أَغْرَاءُ جَبَّارَ الْقُوَى وَثَابَا
وَيُسْمَعُ الصَّمَّ إِذَا أَهَابَا
يَفْتُلُ لِلصَّنَاعَةِ الْأَسْبَابَا
مُتَضَيًّا مِنْ عَزَمِهِ قَرْضَابَا
كَأَنَّ تِلْكَ لِلْأَيْدِي الرُّطَابَا
إِذَا بُسِطَتْ تَسْأَلُ الْاِكْتَابَا
لَمْ يَبْقَ أَنْ يَصْنَعَ الثَّقَابَا
لَا تَبْنُوا الْقُصُورَ وَالْقَبَابَا
يَنْفُتُ مِنْ دُخَانِهِ ضِيَابَا
تَرَى الْأَكْفَافَ فَحَمُّ خُضَابَا
يَنْصَبُ مِنْهَا الرِّغْدُ انْصَابَا
وَمَنْ يَسُدُّ بَغِيرَ مَالِ خَابَا
وَمَالُهُ لَمْ يَبْلُغِ النَّصَابَا
ضِيُوفُهَا بَاتُوا لَهَا آرَابَا

سَلَامًا فِتْيَةَ الْوَطَنِ الْمُدَى
دَعَتْ مِصْرُ الْعَزِيزَةَ فَالْتَفَتُمْ
وَأَشْعَلْتُمْ بِهَا رُوحًا فِتْيًا
وَكُنْ بَقْلُهَا جَرَحَ تَنْزَى
فَسْتَهْ أَنَا لَكُمْ فَأَغْنَى
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ يَحْنُو عَلَيْهَا
شَبَابُ النَّيْلِ مِصْرُ إِلَيْكَ تَشْكُو
فَكَانُوا الْجُنْدَ لِلْبَاغِي عَلَيْهَا
يُمَزَّقُ شَمْلُهَا بَدَدًا وَيُوهَى
وَكَمْ فِي مِصْرٍ مِنْ أَبْنَاءِ سُوءِ
فَكَالُوا عَذَابًا وَاضْطَهَادَا
وَعَانُوا فِي نَوَاحِيهَا فَسَادَا
وَعَبُّوا كُلَّ مَوْرِدِهَا اخْتِلَاسَا
أُولَئِكَ شَرُّ مَنْ وَلَدَتْهُ مِصْرُ
أُولَئِكَ دَاوُودُهَا يَفْرَى حَشَاهَا
مُصَابُ النَّيْلِ أَبْنَاءُ رَعَامِ
فَكَانُوا مِعْوَلَ الْعَادِي عَلَيْهِ
سَلِيلُ النَّيْلِ وَيَحْكُ كَيْفَ تَنْفُو
أَرْضِي أَنْ تَذِلَّ بِأَرْضِ مِصْرِ
وَنَيْلُكَ مَا أَحَنَّ ثَرَاهُ مَهْدَا
وَأَرْضُكَ جَنَّةٌ شَقَّتْ سَاءُ
تُدْرِي عَلَى الْأَجَانِبِ مَا أَرَادُوا
وَكَمْ مِنْ أَجْنَبِيٍّ جَاءَ يَسَى
فِيهِلْ وَزِدْهَا الْمَذْبَ الْمُصْفَى

جاسوا خلال أرضها ذنابا واحتصروا الطعام والشرابا
فامتلكوا بذلك الرقابا هم في الهواء زاحموا العقابا
وفي العباب ملؤا العبابا لغير مصر نيل مصر طابا
إنا شربناه فكان صابا وشربوه سكرًا مذابا
ومن سوي الشباب يحصى الغابا يذود عن حياضه احتسابا
لا يبتغي أجرًا ولا ثوابا وغيره يقتسم الأسلابا
ويحز الأموال والألقابا
شباب مصر حبك انتسابا إنس الجدود واذكر الأعقابا
لا تسم ميراثًا بل اكتسابا واعتصب المعالي اغتصابا
والحر يدرك المني غلابا لا يمح الحر ولا يحابي
كن كالذئب شرة ونابا فانما الحياة أن ثهابا
لا أن تحيد الخط والحسابا وتحقق العلوم والآدابا
أضف إلى تاريخ مصر بابا يتحدث في صفحته انقلابا
أكلما سألته أجابا: كانوا رهوسًا فقدوا أذنانا

ثورة العقل

للشاعر التونسي محمد الحليوي

أنت نحسى وشقوتى وعذابى وأغترابى في مُنتدى الأخدان
أنت بؤسى في غدوتى ورواحى لا تبي الدهر باعًا أشجانى
أرهة تنى كآبى وانفرادى وحنينى لغامضات المعانى
وحياتى قضيتها زفراى وأنت كالبركان؟
يا فؤادى تجاهل المجد وانعم .. فقد تحقت كيانى
سمتنى السفس في طلاب الأمانى وقد تحقت كيانى
بعت للمجد لذتى وكؤوسى وأرخنى ..
وشبابى أذبلته وهو غضى ومداى ومجلس الرئحان
اللذات الأتراب فى فضل عيش فى كتاب ودفتر وسنان
ينهلون الشباب والحب كأسًا ناعم الظل، مُعجب، ريان
فى ضياء وفى صفاء ولهى من رصاب الكواكب الحسان
وبقىنا أنا وأنت فرادى وعبير منشر وأغانى
قلت: إني مفرد لا أبالى فى حجم الآلام والأحزان
أنظم الشعر فى الحياة وأبكى فى سماء بعلّة الدوران
ذاك حظى .. وما أبهت لمجدى فى تظلي شقاوة الانسان
قلت: يا بؤس طائر يتغنى أو رجوت الخلود فى الأزمان
أترانى أقول ما قال قبلى فى صبح الأحياء والأكوان
كان هو ميراثها القلب شينًا شكسبير أو شاعر اليونان
يذرع الأرض، ضاربًا فى مداها دائب السير، طلبة البلدان
يطلب التزّ من طعام وري ساعب البطن، ذاحشًا ظمان
يا لأعنى محبوب براء وبحراً بأغانى الآباد والأزمان
يا لكرنيل يرفع النمل فقرًا دأى القلب دأى الجمان
هان أمر النبوغ فى الأرض حتى وعلى يضيق بالطينلسان^(١)
قسم الله ملكه فى البرايا صار محض النبوغ محض الهوان
خصه بالإسار والقتل والتنة ثم خص الأديب بالحرمان
خصه بالعذاب، بالألم الدائب ريب والننى عن حنى الأوطان
بالإضطهاد بالنكران

(١) كرنيل هو الشاعر الفرنسى الشهير وقمة نسله نظمها الشاعر
(تيوفيل جوتي) فى قصيدة مؤثرة بعاتب فيها لويس الرابع عشر على إهماله
ذلك الشاعر العظيم ، وعلى هو ابن الرومى وشعره فى الطليان الذى أهداه
إليه ابن حرب معروف من القصيدة التى يقول فى أولها :
يا ابن حرب كسوتنى طلياناً . يتبعنى على الرياح الذنوب

قلت للقلب خلّ عنك الأمانى وأرخنى فقد هدمت كيانى
ماضلال الخلود .. ما باطل المجد وما الصيت مالى الآذان ؟
أترأى هذه الأكاذيب حقًا أترأى جديرة بالتوانى
أثما القلب ثب إلى الرشد وانظر نظرة العقل فى لباب المعانى
إنما الخلد والخلود خيال وخيال فى فطرة الانسان
ذاك يا قلبى المريض عزاء يهب النفس راحة التسوان
قد تراءت لك الحياة سرابًا أو كطيف يمر بالوَسْوان
فتطلبنت من غرورك مجداً وأردت الخلود فى الأزمان
ورأيت الشبر الذى أنت فيه غير كُفء لكبرك الإنسانى
فلأت الدنيا دويًا بغيضًا مُجَلِّيًا ، كنى يحسك الثقلان
ضلة ضلة ، أيا قلب أقصر وأرخنى فقد برئت كيانى

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

٥ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

شيلنج Shelling

١٧٧٥ - ١٨٥٤

للأستاذ خليل هنداوي

وهذا هو « شيلنج » الذي ورث « فيخت » وتبوأ مقعد الفلسفة بعده ؛ درس اللاهوت وألم بالعلوم الطبيعية ووقف على شيء من الطب ، ولكن المزاج الفلسفي غلب فيه على كل مزاج آخر ، فهجر هذه العلوم وآب إلى الفلسفة ، فجاءت خطرته الأولى بطلب عليها روح أستاذه « فيخت » و« كانت » ، ولم يكن لعقله ذلك النضوج وذلك التفكير المستقل اللذان يستطيع بهما أن يطهر فكرته من الصور التقليدية ، ويجعلها ابنه تفكيره الذاتي . ترى آراء « فيخت » شائعة في هذه القدمات حتى تقول : « إن فيخت » يمثل دوره ككرة ثانية . لولا أن شيلنج يفر بفلسفته من « فيخت » إلى مذهب القائلين « إن الآله

ورمائه في ذى الحياة ضعيفا
حاملا كالآله قلبا كبيرا
ققضاها من الحياة حياة
وتردى ... فقيل كان عظيما
ثم خطوا ضربه في خراب
وتفنوا بقوله في هيام
ما تراه جناه فالتبر راس
أيها القلب ليس في الأرض حق
كل شيء في مذهب العقل شك
وإذا كان منتهى العمر موت
باطل ياطل أيا قلب أقصر
قال القلب لا هنت بعيش
أعزلا بين كل ذى سلطان
فيه مافي الوجود من أكران
في عذاب ووحشة وامتهان
أوحقيرا ... واستقتل الخلمان
أو أقاموا تمثاله للعيان
أو رموه في موقد النيران
وصدى المجد ضائع في الزمان
غير موت تموت فيه الأمان
كل شيء يقنى مع الأزمان
فلماذا نضيمه في الأغاني ؟
ما يفيد الخلود والدمر فاني
أنت والعمى^(١) فيه تستويان

(تونس)

محمد الحليوي

(١) القمر : الجاهل الذي لا تجربة له ولا رأى

الواحد إنما هو كل الكائنات ... » وقد يستبد شيلنج بهذه الآراء التي يرددها ، وبحسب أنها آراؤه الذاتية ، فلا يذكر « فيخت » ولا يرجع إليه برأى ولا حديث ، ولكنه شديد الاحترام للفيلسوف « سبينوزا » الذي أمده بروحه ، وقاد عقله في كثير من مراحل ؛ وهو الذي أراد أن يستخلص مذهباً يجمع بين فكرة سبينوزا وقد كانت وكال فيخت ، وبعد أن رأس المدرسة الفلسفية كتب آراءه ونظراته في فلسفة الطبيعة حيث شاء أن يعيد العالم الخارجي إلى نظامه بعد أن قتله المدرسة (الكألية) وشوهت حقيقة مظاهره ؛ ثم أخرج كتابه «مذهب الكمال العالي» وفيه زبدة مذهبه الفلسفي والصورة الكاملة الحاوية لمذهبه

لم تكن فلسفة شيلنج كفلسفة (كانت) ابنة تأملات عميقة ونظرات متعاقبة ، ولا كفلسفة (فيخت) نتيجة نظرات بعيدة في الأخلاق والكمال ، وإنما كانت حصاد الخيلة ونتاج الخيال . فكان « كانت » يفكر ويستقصى ويتمق ويكثر من التأمل ، وفيخت كان يتثبت من صدق الفكرة ثم يأمر ، ولكن شيلنج راح بثبت ما توحى إليه تخيلته وينزل عليه خياله ، وهكذا تطورت الفلسفة وأخذت تلين بعد شدتها وترق بعد صرامتها ، ويزول عنها هذا اللون العميق القائم ، وتدنو برق من الشر والفن ؛ والشر والفن دائبان عاملان على تلطيفها وترقيقها حتى لا تكون عالة على الخيلة ، ولا تكون الخيلة عالة عليها ، فأسى الفيلسوف - كما تمثله الأقدمون - شاهداً ينظر إلى تآلف الأشياء وانطباق أجزائها ، وعلاقة النهاية بالانهاية ، والحقيقة بالكمال . وشيلنج يرى أن الفيلسوف لا غنى له عن الخيلة ، وعن الوحي الذي يستمد من نفسه ، وعن الخطرة التي تفيض بها قريحته ، وهو في هذه الملاحظات يجمع بين الفيلسوف والفنان رغم اختلاف رسالتهما ، ولكنه لا يهمل أداة الملاحظة والتأمل اللذين خلقا العالم الفلسفي ، ولكنه لا يميل إليهما إلا قليلاً . ولهذا الاعتقاد الذي وسم مذهبه الفلسفي بميسم الفن رأينا أن فلسفة شيلنج جاءت فلسفة هادئة مسألة لا حركة فيها ولا ثورة

إن « فيخت » رغم ما بذل من جهد استنفد وسعه للعمل على ربط فعالية عقل الإنسان وأخلاقه بوثاق واحد بمذهب

العقل يجب أن يكوناً قسماً من الخيال النظري الذي يوحد بين الأفكار ويرتبها ، وإنما غرض الفلاسفة أن تتمر الكون وأن تشيده وأن تعمل في الخليفة على إبداء وجهتها الشعرية والفنية

لم يقف « شيلنج » جهوده على الفلسفة وحدها ، وإنما كان يحوض طوراً في الفلسفة الكونية والنفسية ، ونارة في التاريخ والفن ، وهو يفوز في ساحة ، ويخفق في أخرى ؛ أما فلسفته النظرية فقد جابهتها الحقيقة مجابهة قاسية ، وعلة ذلك أنه كان ينجح كثيراً في الافتراض ، وقد يكون الافتراض أحد العوامل الأساسية في تقدم العلم ، ولكنه لا يفي شيئاً في تحليل الميهمات التي لا يتناولها التحليل . وأما نظراته في التاريخ فسرعان ما وهنت أركانها واضطربت أصولها ، وهو يمشي على أثر « فيخت » الذي قسم العصور الانسانية إلى خمسة أدوار ؛ يبدأ أولها بعصر الانسان الأول الذي لم يدنس عقله ونفسه شيء . وينتهي آخرها بالعصر الذي سيتساقط فيه الانسان وتحمله تأملاته النقية إلى فردوسه المفقود ؛ ولكن « شيلنج » حدد تاريخ الانسانية بثلاثة أدوار

إن عبقرية « شيلنج » لم تبرز واضحة إلا فيما استمدته من قلبه وانتزعه من نفسه ؛ وفي مذهبه الذي لم يؤثق فيه خياله بوثاق العقل المحدود ، ولم يجد في ادانته من الحقيقة تكراراً . هذا المذهب الذي احتوى نظراته السامية في الفن الذي وجد فيه شيئاً أسمى من الفلسفة . فالفيلسوف قد يدرك المثل الأعلى ويقفهه ويقف عند ما وصل إليه عقله . أما الفنان فهو يأخذ لبيكه في قوالب مادية ، وهو في خلقه وإبداعه لا يقلد الطبيعة ، ولكنه يقلد ذلك الفكر الجبار الذي أبدع الطبيعة

عنت « لشيلنج » يوم كانت تربطه الصداقة بالشاعر « شيلجل » فكرة شعرية سامية في مناجاة الطبيعة ، وبدأ يكتب مطالعاً ثم يداله شيء صرفه عن فبكرته ، وكأن هذه الفكرة الشعرية ظلت راسخة في تلافيف فكره تنصرف بشموره وتفكيره حتى إذا نضج عقله وتكشفت فلسفته جاءت وهي أدنى إلى الشعر والفن منها إلى الفلسفة المجردة

فيليب شمراوى

يتبع

واحد ؛ نراه غادر في مذهبه هذه (الثنائية) التي لم يجدوها شيلنج صحيحة ، فمالم الروح الداخلي لا يمكننا أن نشاهده ونطلع على غيبه إلا بوساطة العالم الخارجى عنا ؛ كما أن العالم الخارجى لا يلبس إلا بعمونة عالم روحنا . وهكذا يجد الفيلسوف نفسه أمام مادتين جوهريتين مفترقتين متماكستين ، فأراد شيلنج أن يمحو هذا التنازع بينهما ، وهو تنازع لم ينكره فيخت ، فتحرى شيلنج في كلا المالمين عن قانون أعلى يضم بينهما ، فوجد هذا القانون في الواحد المطلق « L'absolu » مبدأً ومنتهى كل وجود ، وملتقى عالم الحقيقة بعالم الكمال ، والموفق بين الأضداد . وقد أحل مذهبه هذا محل المذهب العلمى ، واعتقد أنه قد وُفق في إيجاد الاتحاد المنشود ، وجمع الأجزاء المتفرقة ، وتوحيد المعرفة الانسانية

وفي الحقيقة إذا تعمقنا في حقيقة هذا المذهب الذى جاء به شيلنج رأينا أنه هو ذات المذهب الذى يجعل الله هو كل الكائنات ، والواحد المطلق الذى أنشأه وافترضه شيلنج هو هذه المادة الأزلية التي نلاحظها وبشر بها « سينوزا » ، هذه المادة التي تحمل متفحة في عنصرين متضادين وعالين مختلفين : عالم الروح وعالم المادة . والصفة البارزة التي يتسم بها مذهب « شيلنج » هي أنه أنشأ رباطاً محكمًا وأوجد وحدة شاملة بين مظاهر الكون المختلفة ؛ فالوجود الحقيقي والوجود الروحاني السامى كلاهما عوالم مشتقة من نعمة الفكرة الآلهية ، وهناك شيء من الميل الغريب بين أفكارنا والمريثيات ، فنحن نحمل في أنفسنا صورة لكل شيء تقع عليه أعيننا ، وهذه الصورة قد لا تلوح في الذاكرة سريماً ، ولانكون وليدة ملاحظاتنا الحسية ، ولكنها ابنة تصور راسخ فينا متفد القدم ، مندس في شعورنا . فما هو إلا أن تهيب هذه التصورات حتى نجس أن هذه الصور أخذت تمر بنفوسنا ، فإذا أردنا أن نعرف الكون فما علينا إلا أن نتلقى في صحف أنفسنا وأن نتبع بنظرنا الباطنى مجرى الأشياء ، وأن نقف على الحكمة المنطقية الآلهية التي أبدعت الكون ؛ وهكذا يفقدو علمنا مطلقاً وليس له إلا صبغة الوحدة المسيطرة على العالم ، وتصبح الفلسفة لا تتوقف على التأمل الذى يلاحظ الأشياء ، ولا يدخل فيها ولا يمحونا إلا بمعرفة جزئية محدودة ؛ وإنما التأمل الحقيقي والادراك

مَنْ رَوَّاعِ السَّرِقِ وَالْغَرَبِ

ذكرى

لشاعر الحب والجمال لامرئين

كان لامرئين « قد حبس نفسه شهوراً طويلة في شبه ناووس مع صورة من عبدها ثم فقدتها » ثم « ألف الحزن والألم » وخرج من الفناء الذي ألفه فيه موت جوليا حبيته ، وراح « يتحدث بالناجيات والصلوات والأدعية والشتم إلى شبحها الذي لا يرحم مائلاً في خاطره » . وهذه القصيدة قد نظمها في ربيع ١٨١٩ « على مقعد من الصخر حول ينبوع متعمد في الغابات التي تكثف قصر عمه في (أورسي) (١) »

عشاً يتماقب الجديدان ،
قلن بتركا أترأ في حسي ،
ولن يحجوا صورتك من نفسي ،
يا آخر حلم رآه الوجدان

إني أرى أعواى السريمة
تراكم من ورأى هاوية ،
كما ترى السندبانة الرقيقة
أوراقها من حولها ذاوية .

مجّتي شيتها السنون الجاهدة ،
ودى أردته فلا يكاد يجرى ،
كأن هذه الموجة الهامدة
لفتحها ربح الجنوب فلا تسرى

ولكن صورتك الوضيئة الحبيبة ،
تلك التي يزيد بها أسنى جمالاً
لأندر كما في قلبي الشيخوخة الكثيرة ،
لأنها كالنفس لا تمرف عمراً ولا زوالاً

كلا ، أنك لم ترأيلي بصري ،

(١) الكلمات التي بين الأقواس من كلام لامرئين

قأذا حيل بين عيني وبين رؤيتك
انقطع من هذه الأرض خبري
وانصل نظري في السماء بصورتك

وهناك تبدين لي في السماء
كما كنت في يومك الأخير ،
حين طرت إلى مقامك الوضاء
مع الصباح المشرق النضير

جمالك النقي المؤثر يا حبيبته ،
يتيمك حتى في ذلك الوجود ؛
وعيناك اللتان تنطق فيهما الحياة ،
يشمان ثانية بنور الخلود

وأنفاس النسيم الهائجة ،
تحرك أيضاً شعرك الطويل ؛
وخصّله المتوجة الفاحمة ،
تعود فتسقط على صدرك الجليل (١)

وظل هذا النقاب الحائر ،
يحلّي وجهك الوضاح ،
كأنما سدول الظلام الآخر ،
تنحصر عن محيا الصباح

إن اللهب السامى لهذه الشمس ،
يجي ويذهب مع الأيام ؛
وأنت تشرقين دائماً في النفس ،
لحي لا يعرف البرد ولا الظلام

أنت التي أسمعها في الصحراء ؛
وأنت التي أبصرها في السحاب والماء ؛

(١) أنظر قصة (رفايل) الفصل العاشر والفصل الثالث عشر

مقطوعات شعرية لشاعر الهند العظيم الدكتور محمد اقبال

« من ديوان رسالة المشرق »

الملوك

أضرم طارق النار في سفائه على ساحل الأندلس ، فقيل له
هذا أفن ينكره العقل ! كيف ترجع الى الديار ، وقد شط المزار ؟
إن الشريعة لا تجيز ترك الوسائل ! فضحك وأصابت حسامه
وقال : كل ملك ملكتنا ، لأنه ملك ربنا

الحياة

سألت حكيمًا : ما الحياة ؟ قال : حمر أمرها أطيبها . قلت :
لها دودة تنشأ من الطين . قال : بل وليدة النار كالسمندل . قلت :
إن الشر مضمر في فطرتها . قال : هي شر كلها إذا لم تعرف خيرها .
قلت : إن غرامها بالسير لم يلبسها منزلًا . قال : إن منزلها في هذا
الغرام نفسه . قلت : إنها تريبية ومرجعها التراب . قال : إن
الحبة إذا شقت التراب فهي وردة ناضرة

الحقيقة

أنا الشعلة التي اضطربت في أحضان العشب من فجر الأزل ،
قبل أن يخلق الليل والفراش ، أنا أعظم من الشمس ، ولكني
منبثة في كل ذرة ، وقد خلقت السماء شرارها من حرقتي :
سقطت على صدر المرج لحظة فنبع من ترابي غصن ناضر فاستلب
ناري وقال : تلبي في أحضان قلبي ، ولكن قلبي السليب لم
يقر قراره ، فاضطربت في ضيق الفصن حتى تجلى جوهرى باللون
والرائحة ، فثر الندى في طريق جواهر متلاثلة ، وضحك لي الصبح ،
وأطافت بي ريح الصبا ، وسمع البلبل من الورد أن ناري قد
سُلبت ، فتأوه وقال : لقد اشتريت ثوب الحياة غاليًا
هأنذا أفتح صدري لضوء الشمس وأحتل منسجها ، فمن لي
بأن تعود ناري مشتعلة في صدري ؟

الحياة الخالدة

لا تحسبن الخانة قد بلغت نهايتها . فلا يزال في عروق الكرم
ألف خمر لم تُشرب ذلك المرح جميل ، ولكن لا يحمل أن نعيش
كالبرعم ! قضاء حياته ممزق بأنفاس الصبا . إن نكس الحياة
خير أ فلا تطلب ولا ترض قلبًا خليًا من وخزات الأمل . عش
كالجبل محكمًا بجمع النفس ، ولا تمش كالشبح ، فان الريح عاصفة
والنار لا تنهت
عبر الوهاب عزام

فاللوج يمسك صورتك في عيني ،
والذي يمسك يحمل أصواتك إلى ،

وإذا خشمت الأصوات ونام الليل ،
وسمعت حينئذ همس الهواء ،
حببني أسمك تنممين في أذني
بكلماتك القدسية المذاب

وإذا ما أُعجبت بهذه المصابيح المنترة
التي ترصع رداء الليل الساكن ،
حببني أراك في كل نجمة مزدهرة ،
تستريح بصرى بلائها الفاتن

وإذا ما هب النسيم على الزهور ،
فأسكر النفس بنفحات العطور ،
كانت نفحتك هي الطيب الذي أنشقه
فيما ينشئه هذا النسيم ويطلقه

إن يدك هي التي تحفف دموعي
حين أذهب في حزن وبكاء
لأؤدي في السر صلاتي وخشوعي
في محاريب الدعاء والعزاء

وإذا غت سهرت على سهر الخائف ،
وبسطت جناحيك على آلائي ،
وأوحيت إلي بجميع أحلامي
وديمة كمنظرات الخيال الطائف

وإذا قطعت يدك أثناء منامي
مجرى حياتي وأسباب آيائي
فسأصحو -- بانصف روحى العلوى --

بين رخصتك الخنوف القدسي

نم تصبح نفسانا نفسًا واحدة ،
كشماعين متجددين من أشعة الفجر ،
أو نفسين ممتزجين من الأنفاس الصاعدة ؛
ولكني لا أزال أردد أنفاس العمر !

الزبات

البريد الأدبي

صيانة الدولة للأدب

وهل نحن بحاجة إليها ؟

نقلنا إلى القراء في العدد الماضي خلاصة تلك الفكرة الطريفة التي نتحدث بها بعض دوائر الأدب الفرنسي ، وهي وجوب تدخل الدولة لحماية الآداب القومية من منافسة الآداب الأجنبية كما تتدخل لحماية المحاصيل والصناعات القومية ، أو بمباراة أخرى وجوب معاملة الثمرات الأدبية معاملة التبني والقمح مثلاً من حيث الحماية القومية ، وذلك لأن سيل الأدب الأجنبي يتدفق الآن على فرنسا ويهدد مصالح كتابها ومفكرها تهديداً قوياً يظهر أثره في هبوط الدخل الأدبي وقيم حقبة التأليف . ونساء لنا ماذا يكون من أمر هذه الفكرة في بلد كمصر ؟ وهل نحن في مصر بحاجة إلى بحوثها ؟ والجواب الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة هو أن مصر لم تتقدم في ميدان التفكير إلى الحد الذي تستطيع معه أن تكون بلداً مصدراً يبعث بهار تفكيره إلى البلدان الأخرى ، فهي مازالت بلداً مستورداً ، يستورد أكبر قسط من غذائه الأدبي وينقله عن التفكير الغربي ، وإن الثمرات الأدبية المحلية ليست في حاجة إلى الحماية لأنها ليست من الكثرة أو القيمة بحيث تتأثر بهذه المنافسة الأجنبية القوية . وهذا صحيح من الوجهة العامة ، ولكننا نستطيع أن نستدرك عليه بعض الملاحظات . وفي رأينا أن الأدب المصري بحاجة إلى نوع من الرعاية والحماية المحلية من بعض النواحي ، ولنا نقصد أن تفرض الضرائب الجمركية أو تتخذ إجراءات لآية حماية ضد الآداب الأجنبية الرخيصة ، فنحن في أشد الحاجة لاستيراد هذه الآداب ؛ ولكننا نعتقد أننا في حاجة إلى الحماية من سيل الأدب الغربي الوضيع الذي ينساب إلى مصر من كل ناحية ، يحملها إلينا كتب ومجلات وصحف كتبت لطبقات وبيئات منحلة ، ومجد بيننا رواجاً عظيماً ؛ وقراء المجلات والصحف الأجنبية هنا يعرفون هذه الحقيقة ، ويكنون أن يعرف الناشئون قليلاً من الإنكليزية أو الفرنسية ليهاقوا على اقتناء هذه النشرات الوضيعة الخطرة في معظم

الأحيان من الوجهة النفسية والأخلاقية . وهناك أنواع من الأدب الأجنبي المتوسط أو الخفيف تروج بيننا رواجاً عظيماً ، وهذه أيضاً يجب أن يوضع حد لترويجها على حساب الأدب المحلي والصحافة المحلية لأنها ليست أقوم منها ولا أرفع ؛ ثم هنالك سيل الترجمة ؛ ومع أننا في عصر ترجمة ونقل في كثير من النواحي الفكرية ، فإن هذا السيل يجرنا بلا تحفظ ، ويطغى على الإنتاج القومي بشدة . ومن الصعب أن نتحدث في أمر الحماية الرسمية الفعالة في هذه النواحي ، ولكننا نشعر في أحيان كثيرة بالحاجة إليها . ولو أمكننا بعض الوسائل المعقولة أن نحد من تدفق سيل الآداب الأجنبية المتوسطة أو الرخيصة ، وأن نحصر الترجمة في حدود القيم المنتج ، لكان في ذلك ما يشجع الآداب المحلية ، ويعضد الإنتاج المحلي ؛ ولا شك أن انصراف القراء عن التهاافت على هذه الأنواع من الآداب الأجنبية يقابله من الناحية الأخرى شيء من الإقبال على الأدب المحلي ؛ وإذا نما هذا الإقبال ، ترتب عليه حتماً اهتمام الأدب المحلي وتقدمه ؛ والتمهيد أكبر عناصر التشجيع وشحن العقول والهمم . وكلما زاد هذا الإقبال والتعصيد تقدمت الحركة الأدبية وارتفع معيار الإنتاج الأدبي

على أن المسألة معقدة من الوجهة العملية . ومن الصعب أن نتصور الوسائل أو الإجراءات المعقولة التي يمكن أن تحقق بها مثل هذه الحماية دون مساس بحرية الحركة العقلية ، وحركة الاقتباس الفكري التي نحن في أشد الحاجة إليها . وأصحاب هذه الفكرة في فرنسا يجدون مثل هذه الصعوبة في التماس الوسائل العملية لتحقيقها . وكل ما يمكن قوله ، تمسحاً مع أصحاب الفكرة هو أن الحماية الاختيارية هي خير وسيلة لحل المشكلة ، أو بمباراة أخرى إن هذه الحماية يمكن تحقيقها بالتطوع والرغبة في تشجيع الآداب القومية من جانب القراء والمثقفين ، وإغفال الآداب الأجنبية التي لا تحمل قيمتها أو نوعها على وجوب الانتفاع بها

وقد يعترض عشاق الثقافة الأجنبية بأن الإنتاج الأدبي المحلي لم يرتفع إلى الحد الذي يحقق بنية المثقفين وطلاب الناع الفكري

وثائق جديدة عن نابليون

ظهرت أخيراً حركة ترى إلى كشف كل ما يتعلق بنابليون بوناپارت وعصره من الآثار والوثائق؛ وبيعت في باريس مجموعات ثمينة من كتب الامبراطور ونمطه التي كانت في مكتبة ماليزون؛ ثم ظهرت على أثر ذلك مجموعة كبيرة من رسائل الامبراطور إلى زوجته الثانية ماري لوز المرسومة وعددها نحو ثلثمائة، وعرضت للبيع في لندن واشترتها الحكومة الفرنسية، وقد أشرنا إلى هذه الرسائل وإلى محتوياتها في عدد سابق. والآن تظهر في انكلترا وثائق جديدة خاصة بأيام الامبراطور الأخيرة في منفاه بجزيرة سانت هيلانة. فقد نشرت جريدة «الصنداي تيمس» عدة رسائل لم تنشر من قبل، كتبها ضابط انكليزي يدعى دنكان داروس كان من شهود أيام الامبراطور وساعاته الأخيرة إلى أمه، منها رسالة كتبت غداة وفاة الامبراطور، بتاريخ ٦ مايو سنة ١٨٢١، وأخرى في ١٧ مايو عقب الاحتفال بدفنه

وكانت هذه الرسائل في حوزة حفيد هذه السيدة. ولم تنشر من قبل قط، وهي وثائق ثمينة مؤثرة، عن المناظر والأقوال التي تتعلق بمرض الامبراطور الأخير وساعات نزعه، ولحظة وفاته، وكان الضابط دنكان داروس قد أرسل إلى حامية سانت هيلانة في المرحلة الأخيرة من اعتقال الامبراطور؛ والرسالة الأولى عن وفاة الامبراطور مكتوبة من «ديدود»، والرسالة الثانية من «لونجوود»

ولما ظهرت الحركة الأخيرة بجمع الوثائق النابوليونية سميت جريدة «الصنداي تيمس» إلى الحصول على هذه الرسائل، ونجحت في احتكار حق نشرها، وبدأت بذلك منذ ٢٣ ديسمبر؛ وكان لنشرها وقع عظيم عند كل الذين يهتمون بهذا العصر ومأساة الامبراطور المنفي

تصويب

وقع في القصيدة الفرنسية التي نصرناها في العدد الماضي للآنة النافذة (ي) أخطاء مطبعية تصححها فيما يأتي:

جاء في السطر الثاني capricieux والصواب capricieux
وجاء في السطر الرابع où والصواب où
وجاء في السطر الثالث attenari والصواب attendri
وجاء في السطر الرابع والآخرين q'astucieux والصواب qu'astucieux
وجاء في صفحة ٣٦ في السطر الثالث من العمود الثاني: تبلغ ٨٥ والصواب تبلغ ٨٥ (زيادة علامة ناقص)

الرفيع، ولكن المحقق هو أن هذا التقدم المنشود لا يمكن تحقيقه دون تشجيع قوى فعال؛ والطبيعي هو أن يتقدم التشجيع أولاً، فإذا ظهر الانتاج المحلى بهذا التشجيع، استطاع أن يظفر بفرص التقدم والصقل والنضوج

ميشيل آنجلو وعصره

منذ حين أصدر الكاتب المؤرخ الألماني هيرمان جريم كتاباً عن الفنان الايطالي الأكبر ميشيل آنجلو وعصره، فكان لصدوره وقع عظيم في الدوائر الأدبية والنقدية. ومنذ أسابيع قليلة صدرت ترجمة فرنسية لهذا الأثر القوي، فعاد الحديث عن قيمته الأدبية والفنية، ولاريب أن الكتابة عن ميشيل آنجلو وعن عصره ليست يسيرة؛ فقد كان آنجلو من أعظم العبقرات البشرية، وكان عصره — القرن السادس عشر — من أعظم عصور التاريخ: كان عصر «الأحياء» الفكري، وكان عصر البابوية الذهبي؛ وكان ميشيل آنجلو يمثل كل ما في عصره من عظمة وآمال، وكان عمله رمزاً قوياً لخواص هذا العصر وأمانيه، كان مثلاً، ومصوراً، وشاعراً، ومهندساً عظيماً

هذا هو ملخص الصورة التي يقدم بها جريم بطل ترجمته؛ وقد عاش ميشيل آنجلو وتوفي بين أعظم رجالات عصره. كان في قوته صديق لورنزو الأنغم أمير فلورنس، وكان في كهولته مصور البابوية ومهندسها. كان صديق جوليوس الثاني، وليون العاشر، وهو الذي وضع التصميم الجديد لكنيسة القديس بطرس أعظم كنائس النصرانية، وهو الذي رسم أبداع نقوشها؛ وهو الذي أودع من ريشته أعظم بدائع الفن على جدران «كنيسة سكستوس» إحدى حلى الفاتيكان، وصور عليها بالأخص أشهر وأبداع صوره «يوم الحساب»؛ وما زال السامع المتفرج يقف ذاهلاً مأخوذاً أمام روعة هذه القاعة التي يشعر فيها روح ميشيل آنجلو ترفرف عليه من سقفها وحول جدرانها

ويمثل لنا جريم ميشيل آنجلو في شبابه ونضجه رمزاً لمثل إيطاليا وأمانها، وفي كهولته وشيخوخته رمزاً لآلام إيطاليا، ويمثل لنا حياته كلها بأنها صورة صادقة لعصر الأحياء كله. وأما عصر الأحياء الإيطالي فيصوره جريم أبداع تصوير، وبين لنا كيف كان هذا العصر بحر المارك والتطورات الفكرية والاجتماعية والسياسية، وكيف أن هذه المارك كانت تتمخض عن مثل ما يتمخض به عصرنا من المشكلات الاجتماعية والسياسية، سواء في حقوق الفرد والجماعة، وتنظيم الحكم والدولة أو غيرها من المسائل الكبرى

من هنا ومن هناك

الموجات القصيرة Les Micro - Ondes

بفلم ماركوني

إن استعمال الموجات القصيرة في الاتصال بواسطة الراديو ليست جديدة على ، فقد خصصت لها جزءاً كبيراً من تجاربي ، وصرفت فيها تفكيراً طويلاً منذ ثمانية وثلاثين عاماً . في سنة ١٨٩٦ أفهمت مهندسي محطات الأذاعة أن الأمواج التي طولها ثلاثون سنتيمتراً يمكن إرسالها بغير انقطاع في حيز مليون من الكيلوسكاتلات

وفي هذا العهد ، بعد البحث والتجارب الطويلة التي قمت بها وقام بها غيري ممن عاصروني ، نجحنا في استعمال تلك الموجات القصيرة حتى وصلنا إلى إرسالها إلى مسافة تقرب من عشرة آلاف متر

وأما من جهة النتائج التي وصلت إليها بين سنتي ١٩١٩ - ١٩٢٤ في استعمال موجات ذات أطوال تتراوح بين مائة وستة أمتار فقد حملتني على التخلي عن الطريقة الامبراطورية الموضوعة على أساس الموجات الطويلة والاستعاضة عنها بمحطات ماركوني الأصدارية التي تستعمل الموجات القصيرة المتتابعة ، وذلك في الحقيقة هو الذي أدى إلى الانقلاب الحالي في الأعمال التليفونية والتلفزيونية باستعمال تلك الموجات القصيرة التي تندفع إلى مدى بعيد ، ولقد كان لهذه النتائج أثر كبير في نفسي دفعني إلى الاهتمام بهذه الموجات وأما الموجات الكهربائية المنقطعة التي يقارب طولها المتر ، فلنا أن نمبر عنها بالموجات المرتية ، لأن الاتصال بواسطتها ضرب من المحال ، إلا إذ تلاقى نهايات دائرة الاتصال كلهما في نقطة واحدة ، وعندئذ تكون القائمة المنتظرة قد تمت بهام هذا الشرط الأخير وقد نهيتي تجاربي الكثيرة ألا أحدد شيئاً أساسه الفرض أو الحساب النظري ، لأن ذلك كما نعلم مبني على جهل بمعرفة العوامل المسببة ؛ وعلى العكس من ذلك وعلى رغم تكهناتي بما يتنافى مع الشرط ، فإني دأبت البحث في نواح أخرى ولو ظهرت

لي صعوبات كثيرة في أول الأمر

ولقد كان ذلك منذ ثمانية عشر شهراً على وجه التقريب عند ماصح عزري على أن أستفيد من أبحاث القياسية في صفات هذه الموجات القصيرة ، وقد حصلت في النهاية على نتائج ملموسة يوفر إدراكها معرفة ما يأتي :

(١) الأبعاد القصيرة للمرسل L'emetteur والمستقبل le recepteur والمالكس le réflecteur الضرورية لشركية كبيرة من القوى الكهربائية والحصول عليها

(٢) معاكسة الأضواء الضعيفة المسببة عن اهتزازات الكهربائية الطبيعية عند الاضطرابات الجوية

ولي أن أجزم بأن الأشياء الممكنة في هذا الموضوع قد وسعت نطاق البحث في النواح الكهربائية التي لم توضع بمدى على بساط التجربة ، والتي أفسحت المجال لتطبيق هذه الموجات في الاتصال عن طريق الراديو

والاستعمال الدائم العملي للموجات القصيرة التي تكون حلقة متصلة بين القاتكان وقشتالة وجوندلفو لأكبر شاهد ، كما أعتقد ، يجعلنا تتفاعل بما ستحرزه هذه الطريقة الجديدة من النفع ، وما ستوفره لنا في المستقبل ، إذا ما أبعدها الاضطرابات الكهربائية الأخرى

وخير مكان يقع فيه تطبيق هذه النظرية هو ربط الجزر ببعضها ببعض ، أو بعضها بالفقارات ، أو ربط الجهات المختلفة بعضها بالأخرى ، على شريطة ألا تكون هذه الجهات بعيدة عن بعضها كل البعد

وتمتاز هذه الطريقة الأخيرة بعدم تأثرها بالضباب ، إذ هي أكثر ضماناً وأوفر أماناً ، وخاصة من ناحية الاحكام الكامل الذي يمكن الاعتماد عليه كلية في تحديد الجهات تحديداً دقيقاً ، ومع ذلك فمن العيب الآن أن نقول الكلمة الأخيرة عن تحديد مدى الأذاعة بواسطة هذه الموجات القصيرة

يجب لهذا الكمال التوفر على دراسة المؤلف وكثرة الشاهدة والاطلاع حتى يستخلص ما في حياتها من رحيق ثم يميدها في نعمة صادقة تمثل عصره

والموسيقى البارع هو الذي يتلقى أحاسيسه عن عالم بعيد لم يصل بعدُ بنيره إليه ، وأكبر الأمثلة على ذلك « بيير » Biber ، موسيقى قصر أسقف سالزبرج ، فقد عاش ذلك الموسيقى الفذ في عصر كانت الموسيقى الإيطالية النارة التي يهتدى بها كل موسيقى في العالم . أما « بيير » فأبى إلا أن يكون فريداً في أحساسه ، غريباً في مشاهداته ، شاذاً في تصوراته ، اهتدى بنور وحيه ولم يستلهم إلا نفسه ، قطب اسمه عصره في تاريخ الموسيقى وبقي قطعة خالدة ، وظلت موسيقى بيير ورداً لمن جاء بعده من الموسيقيين أمثال موتسار Mozart ، ثم أسفر القرن الجديد عن بهووفن الذي يعتبر وحده عصره من المصور الموسيقية

ومما يميز موسيقى العصر الذي جاء قبل باخ عدم توافق نغمات المقطوعات واحتياج كل مقطوعة إلى آلة خاصة تعزف عليها ولو تقاربت اصطلاحاتها ، ولم تتفق تلك النغمات إلا بعد عصر باخ بمدة طويلة

وليس جمال الموسيقى القديمة هو المقصود وحده ، وإنما يقصد بدراستها إلى دقة إدراك نغماتها القديمة التي تعبر عن شعور كان له في يوم من الأيام رنين تستعذبه النفس ويستسيغه الوجدان ، وهو بقدر سبيل الوحي للأجيال التي جاءت من بعده . وكثير من الألحان القديمة التي قدر لها البعث من جديد في القرن الماضي قد فقدت عذوبتها وسحرها القديم وتلاشت كل معانيها ، فليس من العجيب إذاً ألا يجد لها السامع تأثيراً في نفسه — أما في عصرنا هذا فقد صحح كثير من أخطاء القرن الماضي ودنا الموسيقيون من الكمال ، كما أنهم لا يمانون كثيراً في معالجة الموضوعات الموسيقية القديمة كما كان ذلك من قبل ؛ ويرجع الفضل في ذلك إلى سهولة إدراك الطريقة التي تعالج بها تلك المقطوعات القديمة

ومما يدعو إلى السرور أن الجمهور قد أخذ يدرك ما للموسيقى القديمة من كمال ، وما لها من قيمة ، كما أن إحياءها كان إحياء جديراً بالاحترام والتقدير

وظهر لنا أخيراً أن من الممكن الأذاعة بين جهات مختلفة متباعدة تباعاً لا يكاد يصدق العقل ، في مساحة تقارب نصف المعمورة . وأندكر الآن تماماً ذلك العهد الذي وصلت فيه إلى إرسال واستقبال موجات كهربائية بين شواطئ المحيط الأطلنطي المختلفة ، وكان ذلك عام ١٩٠١ ذلك العهد الذي كان يمتد فيه الرياضيون أن الاتصال بهذه الطريقة لا يمكن أن يصل مداه إلى أكثر من مائة وسبعين ميلاً ، وفي كل الحالات السابقة الذكر قامت الطريقة الجديدة مقام الاشارات الرئية المضئنة في كل تطبيقاتها على الوجه الأكمل ، إذ حققت هذه الطريقة منافع عظيمة بين المحطات البعيدة وبين الحصون المتاخمة للحدود ، وخاصة في الحالات التي يصعب فيها وضع أسلاك التليفونات وصيانتها إذا استثنينا الأكلاف الباهظة التي تتكلفها هذه الأسلاك وتدخل هذه الطريقة في أعمال كثيرة جدرة بعنايتنا ، منها إصدار الأخبار والتلفزيون . ودرس ميدان هذه الأمواج التي لم تخرج بعد إلى حيز الوجود يتطلب ، كما يبدو لي ، إنشاء وسائل جديدة ، وإدخال إصلاحات كبيرة على الأجهزة الحالية عن (لوا)

نزهة الموسيقى القديمة

عن لندمت

ظلت ألحان الموسيقى القديمة مستوحى الأجيال السابقة منذ عهد بعيد ، ومن واجب الفرد الذي يريد التوفر على دراسة هذه الموسيقى أن يرجع إلى العهد الذي ظهرت فيه فيدرسه دراسة عميقة ، كما أن تلك الدراسة لا تنهض وحدها بمازف قدير على توقيع نغماتها على أحسن وجه ، إذ يلزمه إلى جانب ذلك أن يحيط باصطلاحات تلك الموسيقى ومظاهرها وأسرارها وإبان ظهورها ، فإن للزمن أكبر الأثر في تطور الموسيقى بقدر ماله من أثر في تغيير التقاليد والعادات

ولقد كان هندمت Hindmith أول من وفق إلى ترويض الملاحم الألمانية القديمة التي سبقت ظهور الموسيقى باخ Bach ترويضاً بلغ من الدقة والألقان حداً كبيراً

إن الموسيقى مرآة العصر . فإذا كانت الموسيقى القديمة مرآة للعصور التي تمثلها في تصورها للحياة وجمالها ، وكان ذلك مما يجب دراسته لكمال ثقافة الموسيقى الفنية ، فهو وحده لا يكفي ، بل

القصص

مدام بوفارى

لجورستان فلوبر

تعليق وتلخيص محمد سليمان على

قسم الكاتب الخالد قصته الخالدة إلى ثلاثة أقسام :

فالقسم الأول يصف نشأة ميسو بوفارى إلى أن احترق مهنة الطب ، ويبين كيف اهتمت به أمه ، وكيف زوجته من أرملة سنها خمس وأربعون سنة ودخلها مثنان وألف فرنك . وقد ظن المسكين أنه سيبدأ بزواجه عهداً مستقلاً سعيداً ، ولكن امرأته أثبتت أنها « الفرس الأقوى » ، ففى المجتمعات يجب عليه أن يقول هذا ويمسك عن ذلك ؛ وكان لزاماً عليه أن يصوم كل يوم جمعة ، وأن يلبس ما تشير به ، وأن ينفذ أوامرها فيما يتعلق بالعملاء الذين توابوا عن الدفع ، وكانت تفتح رسائله وتنصت من وراء الحاجز حين يختلئ فى غرفته الخاصة بالعملاء إذا كن نساء .

ذهب يوماً يعود مريضاً فأعجبته ابنته (إما) ذات الميون العسيلة التى تبدو لطول أهدابها سوداء ؛ وعاد بوفارى مريضه وكرر العيادة ، ثم ماتت زوجته فتزوج (إما) وكان سعيداً ، « كان العالم ينحصر فى نظره فى محيط أنوابعها . وكان يؤنب نفسه لعدم حبه إياها حباً أكثر ؛ وأحياناً كان يعود بعد خروجه ليراها ثانية وهى ما تزال فى غرفتها تلبس ، وبينما كان يقبلها فى أسفل عنقها ، كانت تصيح هى فى وجهه »

وكانت قبل زواجها تظن أنها تحب . ولكن السعادة التى كانت تتوقعها من الحب لم تظفر بها فظننت أنها خدعت ، ووطنت العزم على أن تكتشف تماماً معنى هذه المدلولات : السعادة ، الأهواء ، النشوات : التى كانت إلى ذلك الوقت تبدو لها جميلة على صفحات الكتب

وانهارت أحلامها فى الحب وشهر العسل والزواج ، وأخذت

تنسج لنفسها أحلاماً آخر . وبقدر ما كانت علاقتها الزوجية تتوثق كان فى نفسها تنافر داخلى ينمو ويزداد
« كان حديث شارل عمومياً كأفريز شارع تخشى عليه أذكراك كل إنسان وأى إنسان فى أنوابعها العادية دون أن تثير عاطفة أو ضحكاً أو تفكيراً . كان يقول إنه أثناء إقامته فى (روان) لم يجد لديه ما يدفعه إلى الذهاب إلى المسرح ليرى الممثلين من باريس . ولم يكن يعرف السباحة ولا لعب السيف ولا إطلاق الفدارة ؛ وفى ذات يوم لم يستطع أن يشرح عبارة خاصة بركوب الخيل قرأتها فى قصة : أما يجب على الرجل أن يعرف كل شئ . وأن يعلم المرأة انبساط الأهواء ولذائذ الحياة وأسرار العيش ؟ ولكن شارل ما علم شيئاً وما عرف شيئاً ، وما رغب فى شئ . كان يعتقد أن زوجه سعيدة وهى تتمتع تحت هدوئه الذى لا يضطرب وسكينته التى لا تخف »

وبرغم ذلك كانت تمنحه حبها . فى الحديقة ، فى الليالى القمرية ، كانت تعيد على سمعه كل الأغاني الوجدانية التى حفظتها عن ظهر قلب . ولكنها فى النهاية لا تجد زوجها ازداد غراماً ولا حماسة . « ولما ضربت زماناً على الصخرة الجائحة على قلبها دون أن تبعث منها شرارة ما ، كانت تجد صعوبة يسيرة فى إقناع نفسها بأن غرام شارل لا يعد مفرطاً بعد »

وعكفت على قراءة مجلات السيدات والأزياء والأثاث ابتغاء التسلية ، وعلى قراءة بلاك وجورج ساند لتسقى فيهما عن الأرضاء الخيالى لأهوائها الشخصية . وكانت ذات أطماع : لم تكن زوجة لعالم يدوى اسمه فى كل مكان ؟ وبدأت تكره زوجها لقلة طموحه وأصبحت تجد حياتها مملة جوفاء

والحق أنها كانت تنتظر حادثاً فى حياتها . كانت تصحو إذا تنفس الصبح فتظن اليوم قد حل . وتنصت إلى كل حركة ، حتى إذا جاء الغروب أمست أحزن من قبل ، وحنّت إلى الند .

ولما كانت تضجر من مدينة (توست) ظن زوجها أن سبب الداء حادث محلى . وقرر أن ينتقل إلى بلدة (بوشى - لاباتى)

وفي القسم الثاني يصف الانتقال إلى البلدة الجديدة ، وتعارفهما
للاصيدلي هومييه وليون كاتب المحامى . ويبدأ الحديث بين هذا وبين
مدام بوقارى فيكتشفان بينهما تمازجاً في الأفكار وتشاركاً في
المواظف ، فكلاهما يحب الطبيعة والموسيقى ، فدام بوقارى تقول :
- آمل أن أجد طرقاً جميلة في هذه الأنحاء .

- يؤسفنى أن أقول إنها قليلة . هناك مكان يدعوونه (المرعى)
فوق مرتقى التلال ، عند حافة الغاب ، ولقد طالما قصدته في
الآحاد ومضى كتاب كى أرى الغروب
- لست أظن أن هناك ماهو أجمل من الغروب ، ولا ميا عند
شاطئ البحر
- أوه ، إننى أقدر البحر !

- ألا تظن أن العقل يبدو أكثر حرية حين نواجه ذلك
الخصم غير المحدود ، وأن أرواحنا لتسامى حين نسبح في تأملاته ،
وأنه يوحى إلينا بالأفكار عن المثل العليا وعن اللانهاية ؟
- كذلك الحال في مناطق الجبال

واندما يتحدثان عن الموسيقى الألمانية ، والأوبرا الإيطالية ،
إلى أن قال زوجها رداً على كلمة لهومييه عن تنسيق الحدائق :
- زوجتى لا تعنى بذلك ، إننا ننصحها بالرياضة ، ولكنها
تفضل أن تظل في غرفتها تقرأ

وقال ليون - هذا ما أفضل . وإنى لملى يقين بأنه ما من
شئ يفوق الجلوس في المساء بجوار الموقد مع كتاب نفيس ، بينما
الريح تسفع زجاج النوافذ ، والمصباح يضى ويلعب في الغرفة
وقالت وهي تحده بعينيها السوداوين النجلاوين - هذا
ما يختلج بنفسى

- وينسى المرء كل شئ بينما الساعات تتعاقب . ويجول في
البلاد التى يظن أنه براها ، وأما أفكاره التى تحملها الحوادث
المختلفة فإنها تجد اللذة كل اللذة في كل تفصيل ، أو تتبع سير
المخاطر والحوادث ، وتسبح جزءاً من الشخصيات المختلفة ،
ويتخيل المرء أن نفسه هى التى تنففس في ملايسهم

وضمت مدام بوقارى طفلة ستمهارة وتركتها عند امرأة ترضعها
وكان ليون يفكر فيها وهي تفكر فيه ، وترقبه وهو يمر
تحت نافذتها إلى محل عمله مرتين كل يوم . وكانوا أحياناً يجتمعون
في المساء ، بوقارى وهومييه يلعبان الورق ، أما ليون فينصرف
إلى الحديث مع مدام بوقارى
وأخيراً قرر أن يصرح لها بحبه . إلا أنه كلما عزم لا يجد

الشجاعة . وكان يكتب الرسائل ثم يمزقها . وكانت شجاعته
تفارقة في حضرتها ، أما هي فلم تسأل نفسها إن كانت تحبه ،
ففى اعتبارها أن الحب يأتي فجأة مع دوى قاصف وبرق خاطف ، عاصفة
من السماء تهب على الحياة فتقلبها رأساً على عقب ، وتنبث بالارادة
كما يحمل الهواء ورقة جافة وتلقى بالقلب في هوة ماله من قرار
ولكنها كانت تراه يتقرب إليها ، وتحصى حركاته وكنياته
عند ما تستلقى على فراشها ، وتستعيد نظراته ثم تقول لنفسها وهي
تضم شفيتها كأنها تتأهب لقلبة « ما أبهج ذلك ! أهو كلف ؟
وبعن إن لم يكن بي ؟ » ولكنها لم تشجعه . وتظاهرت بأنها
تحب زوجها . وكانت كلما أحست بأنها تهواه ، قاومت لتقل
من شعورها . وكانت تأمل من ليون أن يفهم ذلك . وكلما
همت بتأنيب نفسها عادت تفتخر وتقول لنفسها « إننى شريفة »
وأخيراً ظن الشاب أنها لا تريد فترك البلدة إلى باريس
بلى ذلك لقاءها بمسيور ودولف بولانجيه الشاب الغنى الجميل
الخبير بالنساء والفرام . يقرأ في عينها مللها من حياتها وزوجها
فيرغب فيها ويضع لذلك خطة محكمة وتساعد الظروف فيظفر
بها . وتبدأ حلقة من الحب القوي المشبوب الجارف . وتندفع
المرأة حتى تصل إلى درجة التهور . وكلما ازدادت لماشة حاجباً ازدادت
لزوجها مقتناً . ولأجل عشيقها الذى يملك ثروة من التجربة
أخذت تعتنى بنفسها وتبالغ في الزينة والتأنق . وأعطته مفتاح
الحديقة الخلقى ، فكانا يتقابلان طرفاً من النهار وزلفاً من الليل ،
وفى يوم حضوره كانت تملأ الغرفة بالأزهار ، وتزين بكل ما تملك
من حلى . ولم يعاتبها شارل على تبذيرها قط

وكان لبريه البائع التجول بجانب اليها كل ما تطلب وبغيرها
بطلب المزيد ، وما عليها إلا أن توقع على مكوك يقدها لها
فيصبح المزير ملكاً لها . ولما ألح في طلب تقوده بعد زمن ،
دفعت له مالاً أتى لزوجها من عميل ، ولم تخبره بذلك

وأخذت تندق على عشيقها الهدايا ، وتقول له متدلة :
- « حينما تدق الساعة اثنتى عشرة مرة في الليل يجب أن تفكر
في » . فإذا اعترف لها بأنه لم يفعل كانت تؤنبه ، ثم تحم بكلمتها الأبدية
- « أمغرماً بي أنت ؟ »
- « أجل . طبعاً »
- « كثيراً ؟ »
- « مافى ذلك شك »
- « ولم تحب غيرى ، هل فعلت ؟ »

التي لا يعبر عنها وصف ، وأصبحت لا غنى لها عن لقياءه ، وكانت تذهب لتدعوه من محل عمله ، وترتمش إذا فكرت أنت حبه قد يتلاشي يوماً ما

وبدا ليريه يحاصرهما مطالباً بنقوده ، عارضاً كيبالات أخرى ، وخضعت لسحر النقود فأخذت توقع عليها وتندفع في متعتها وأخيراً حول ليريه بضماً من هذه الكيبالات إلى مالى آخر . ولما ذهبت تسأله جليلة الخبر جعلها توقع على أربع كيبالات آخر ، وأخذت ترسل إلى عملاء بوفارى المدينين وتطلب النقود منهم وترجوهم ألا يخبروه « لأن ذلك يؤثر في كبريائه . »

وفي ذات يوم استلمت ورقة حجز رسمية . وأرسلت لليريه وهي دهشة . وصارحها الرجل بأن ذلك هو السبيل الوحيد لاسترداد نقوده . ولم يقبل منها أى توسل أو رجاء .

وذهبت على عجل إلى ليون وطلبت منه أن يبحث لها بأى وسيلة عن ثمانية آلاف فرنك فلم يفلح ، فعادت أدراجها ذاهلة مدحورة . وفي الصباح التالى نشر الاعلان الرسمى للحجز في الميدان ونصحها خادماتها أن تذهب إلى مسيو (جيلومين) المحامى الغنى . فذهبت تشكو اليه ليريه وقصت عليه المسألة فقال :

« ولكن لم لم تخبرينى السبب ؟ لماذا . . . أختافه أنت متى ؟ أرجح ان لدى عذراً للشكوى . فما نكاد نتعارف ، لكنى أعترف لك بأنى أشد المييد تغانياً ، وأملى ألا يخامرك في ذلك شك وأمسك بيدها وانكب يقبلها بشراة ، وأبقاها على ركبته ، بينما كان يبعث بأناملها ، وأحست بأنفاسه على خدها ، وقالت : « سيدى انى أنتظر » وشحب وجه الرجل فجأة وقال « ماذا ؟ » قالت : « النقود . »

فقال : « لكن . . . » ثم أجاب الرغبة الحادة قائلاً : « حسن . أجل ! » وركع وهو يقول « بحق الرحمة ، امكئ ! » وطلق خصرها بذراعه . فاندفع الدم إلى وجهها وتراجعت قائلة : لا ! سيدى أنت تنهز خطورة مركزى بحاقة . إننى أستحق الرحمة ، ولكنى لست للبيع . » وخرجت في نورة من الهياج والغضب وخطر لها فجأة أن تذهب الى رودولف . فدهش لرؤيتها . ولم تخبره بمطلبها بادى الأمر . ورحب بها وأظهر أسفه لانفصالها واندفع يقول إنها المرأة الوحيدة التي أحبا ورجاها أن تخبره بما يزعجها . ولما طلبت منه أن يقرضها ثلاثة آلاف فرنك تراجع وأخبرها بأن هذا المبلغ غير موجود لديه

فقال : « ليس لديك ! كان الأخرى أن أوفر على نفسى هذا

« انتظن أنى كنت عذراء حين تلاقينا . »

ثم تبكى فيترضاها فتقول :

« ذلك لأنى أحبك كثيراً . أحبك حتى لا أطيق الحياة بدونك . وأحياناً أقول لنفسى . أين هو ؟ ربما ينعم بالحديث مع نساء أخريات . . هن يسمن له وهو يدنو منهن . ولكنك لا تهتم بهن ، أليس كذلك ؟ كثيرات من يقننى حسناً ، ولكنى أتقن الحب أكثر منهن . إننى خادمتك وخليقتك ، وأنت ملكى وممبودى . كم أنت رحيم وجليل وماهر وقوى ! »

وبدا المعبود كمادته بسأم العاطفة العارية والكلمات المعادة . ولما عيل صبرها من زوجها وأمه ، قررت الفرار مع عشيقها وأخبرته بمزمها . فأخذ يسوف ويؤجل ، وهى تؤمل وتستعد . وأخيراً حل الموعد المضروب ، وبدلاً من أن يحضر أرسل اليها كتاباً يخبرها فيه بأنه لأجلها لن يطاوعها على فكرتها ، ويربها أن فرارها معه عاقبة في النهاية وخيمة عليها ، ويختمه بقوله : « . . . إننى أعاقب نفسى بالنفى للضرر الذى سببته لك . سأذهب بعيداً . لا أدرى أين . لا تنسى الرجل البائس الذى تسبب في شقاوتك ، وعلى ابتلاك اسمى حتى تذكره في صلواتها . وحين تقرئين هذه الأسطر البائسة أكون بعيداً ، إذ يجب أن أتجنب الأغراء حتى لأراك ثانية . كوني شجاعة . سأعود ، وربما نستطيع بعد أن نتحدث بهدوء عن حبنا الأول ، وداعاً . . »

ولما قرأت الخطاب أغمى عليها ، ومرضت ثلاثة وأربعين يوماً . وفي أثناء ذلك استدان زوجها ثمن الأدوية ، وتدخل (ليريه) وتمكن أن يجمل بوفارى يوقع على كيبالة لمدة ستة أشهر بالاشياء التي أخذتها مدام بوفارى . وبعدها طلب بوفارى من الرجل ألف فرنك يدفعها له بعد ستة سبعة وألفاً

وأخيراً تحسنت صحتها قليلاً ولكنها أحست الزهد ، وألح زوجها أن تحضر حفلة تنويل في روان وهناك قابلا ليون

وفي القسم الثالث تبدأ مع ليون على أنقراض الغرام الأول حلقة غرام آخر مستهتر عنيف . والحق أنها قاومت في مبدأ الأمر . ففى مازالت متشائمة خائرة تحت تأثير الصدمة الأولى . إلا أن ليون الذى غيرته الحياة الباريسية حملها في تيار جارف . وفي فندق في المدينة أخذتا يلتقيان يوماً كل أسبوع . وكانت تنذر ع أمام زوجها بأنها تتلقى دروساً في البيانو على معلمة في روان

واندفعت مرة أخرى في شراء هداياها فزادت ديونها وتعددت الصكوك وذاق ليون معها للمرة الأولى رقة الافاقة النسوة

الذل . لم تحبني بتاتاً ، ولست خيراً من الآخرين . »

وخرجت وهي تكاد لا تمشي . ومرامها الماضي سريعاً . وشعرت بأنها ستجن ، وبأن روحها تنسرب منها كما ينزف الدم من الجريح . وأخيراً دخلت من الباب الخلفى لصيدلية (هوميه) وهو يتمشى . واستطاعت أن تحصل على مقدار من السم ، وعادت إلى منزلها . ووجدتها زوجها المسكين تكتب خطاباً ، ولما سألتها عما حدث أجابته مشيرة إلى الخطاب « يجب أن تقرأ هذا غداً . » ورجته أن يتركها وحدها ، استلقت على الفراش ، وبدأت تظهر عليها أعراض السم ، وأحست بالظلم وبطعم الحبر . وسألها زوجها عما تشكو فلم تجب . وبعد قليل بدأ القيء . وأصبح وجهها أزرق اللون ، وأخذت أسنانها تصطك ، وبصرها يضطرب ، ولما عاد يسألها في قلق أشارت إلى الخطاب . ولما قرأه صرخ طالباً للموت . وحضر الصيدلى هوميه ، وأرسل إلى طبيبين ، واضطربا في غمرات من الدهشة الذاهلة . ثم ارتدى شارل على الفراش ينتحب . فقالت له :

- لا تبك ، فلن أحتمل زيادة على ذلك

- لماذا ؟ ما الذى دفعك إلى ذلك ؟

- كنت مرغمة يا مدينى

- أما كنت سعيدة ؟ أهى غلطى ؟ لقد فعلت كل ما أستطيع

- بلى ، ذلك حق . . . أنت طيب جداً

وعز على الرجل فراها وقد أفرت أنها أحبته أكثر من أى لحظة خلت . لم تند تكرر أحداً الآن . والصوت الديوى الوحيد الذى كانت تسمعه هو عويل قلبها المسكين ، الذى كان هادئاً خافتاً ، كالصدي الأخير لموسيقى بعيدة . وقالت وهي ترفع نفسها على مرفقها « أحضروا طفلى . »

وحضرت وخطبتها ثم أبعدتها . وأتى الطبيب ، ولكنها بدأت تبصق دماً ، وبدأت أعضاؤها تتشنج ، وتغطى جسمها ببقع حمراء . وحضر الطبيب الآخر فرآها ثم قال لزوجها :

- كن شجاعاً يا صديق المسكين فما نستطيع شيئاً

ماتت المسكينة فأخذ كل شخص يستغل الموقف . معلمة الموسيقى تطلب أجر ستة شهور مع أن مدام بوقارى لم تأخذ درساً واحداً ، وصاحب المكتبة يريد اشتراك ستة شهور الخ

وأرسلت مدام ديوى تنبئه بزواج مسيو ليون ديوى بالآنسة ليوكادى ليون . وكتب شارل يهنئها ويقول : « لشد ما كان يسعد زوجتى أن تعلم ذلك ! »

وفى ذات يوم وهو يهيم بالنزل عثر فى الغرفة العليا على كرة من الورق الرقيق ، فتحتها فاذا بها خطاب رودولف الأخير ؛ وكانت صدمة عنيفة . ورأى حرف (ر) وعرف من هو ؛ ولكنه عاد يقول : ربما كان ذلك مجاذباً روحياً لحسب . لقد كانت محبوبة من كل إنسان

ولكى يسعدنا وهي ميتة كان يعيش كما كانت تهوى وتفكر . كان يلبس أحذية لائمة ، وربطات رقبة بيضاء ، ويضع على شاربه الأصباغ ، ويستدين المال بالكيبالات . وبالجملة كانت تؤثر فيه من وراء اللحد

واضطرب أن يبيع الأثاث . إلا أنه لم يحس غرفتها بل ظلت كما كانت . وكان يذهب إليها دائماً بعد العشاء ، ويضع النضدة المستديرة بجوار المدفأة وكرسيها بجانبها وكرسيه بالجانب الآخر ؛ واحتراماً لها لم يفتح درجها السرى الخاص . ولكنه جلس أمامه يوماً وفتحه . وكانت كل خطابات ليون فيه . فقرأها وأخذ يبكي وبصرخ ، ثم وجد رسائل رودولف وصورته أيضاً ودهش الجميع للاضطراب الذى عمراه ، وانقطع عن الخروج ورفض أن يعود مرضاه . ولكن بعض التطفلين كان يتسلق سور الحديقة المرتفع ويدهش إذ يرى الرجل فى ثياب رثة ، وحال سيئة . وفى الأمامى الصيفية كان يصطحب ابنته إلى المقبرة ، فلا يعودان إلا بعد أن يسدف الليل

وذهب يبيع جواده فقابل رودولف ، ففتاه هذا فى جراءة ليشرى زجاجة من الجمعة بالخانة . وأمام الرجل تاه شارل فى أفكاره . وأمام الوجه الذى أحبته كاد يظن أنه يرى شيئاً منها . كان ذلك عجباً . وأوشك أن يتمنى أن يكون ذلك الرجل . ولم يصغ لحديثه ، ولكنه قال أخيراً :

- « إننى لا أحمل لك حقداً » ووضع رأسه بين يديه ، وقال فى صوت ضعيف : « لا أحمل لك حقداً » . ثم أضاف هذه الكلمات الرقيقة وهي المرة الوحيدة التى قال فيها شيئاً غير عادى :

- « وكانت غلطة القدر »

وفى الساعة السابعة من اليوم التالى وكان جالساً على مقعد فى ممشى الحديقة جاءت برتا الصغيرة التى لم تره منذ الأصيل لتدعوه الى العشاء . وكان رأسه مسنداً الى الحائط ، وعيناه مغمضتين ، وفيه مفتوحاً ، وخصلة من الشمر الفاحم فى قبضة يده ، وقالت « تعال يا أبت . » وظنته يريد أن يداعبها ، فدفعته بلطف فسقط على الأرض ميتاً !

محمد سليمان على